

اجاثا كريستي
الجريمة المزدوجة



أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

الجريمة المزدوجة
Black Coffee

في هذه الرواية المليئة بالأسرار: توصل السيد "كلود آموري" إلى تصنيع نوع خطير من المتفجرات. وذات ليلة وفي حضور جميع أفراد الأسرة وبينهم بعض المدعوين الأجانب استدعى "هركيول بوارو" المخبر الشهير، وأخبره بأن الوصفة العلمية قد سُرقت من خزانته الخاصة بمكتبه قبل العشاء بقليل حين كان جميع أفراد المنزل مجتمعين، وأن الذي سرقها شخص مازال حاضرا في حجرة الإجتماع.
وصل "هركيول بوارو" وصديقه "هاستينجز" للقيام بمهمَّة اكتشاف وصفة الاختراع، ولكنه وجَد السيد "كلود" مقتولا فأصبح الموقف أكثر تعقيدًا. ولم يضيّع "بوارو" وقتًا. ووفقًا لخطته استطاع التوصّل إلى أن القاتل هو "رينو" السكرتير الخاص للسيد "كلود" وهو أيضا سارق وصفة الاختراع. وقد اعترف السكرتير بجريمته المزدوّجة.

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	1.5 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

ISBN 9953383987-7
9789953383989

الجريمة المزدوجة

بوناورد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

الجريمة المزدوجة

(89)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي – دار البشير

تأليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للكتاب

Black coffee

الغلاف بريشة الفنان العالمي

عبد العال

شخصيات الرواية

"**هركيول بوارو**" : مخبر سري ماهر جدًا في اكتشاف غموض الجرائم الموكل بها، وهو يعمل لحسابه الخاص بعيدًا عن الشرطة.

"**هاستينجز**" : ضابط متقاعد، وصديق "**بوارو**" ورفيقه في بعض الأسفار التي يقوم فيها "**بوارو**" بكشف غموض بعض الجرائم.

"**كلود آموري**" : عالم كيميائي كبير، له أبحاث علمية عديدة في مجال المتفجرات وهذا العالم كان في الخامسة والخمسين من عمره.

"**بربارا آموري**" : ابنة أخي "**كلود آموري**" وهي فتاة شابة وحسناء.

"**ريتشارد آموري**" : ابن "**كلود آموري**" الوحيد، وكان دائمًا يمر بضائقة مالية، لذلك استقر مع والده في منزل واحد.

"**لوتشيا**" : زوجة "**ريتشارد**"، وهي شابة حسناء وضئيلة الجسم.

"**كاريللي**" : طبيب إيطالي. كان قد استضيف في بيت "**آموري**".

"**كارولين آموري**" : أخت "**كلود آموري**" تبلغ من العمر ستين عامًا، وهي لم تتزوج بعد، وهي التي تدير منزل أخيها.

"**إدوارد رينور**" : السكرتير الخاص بالسيد "**كلود آموري**".

"**كينيث جراهام**" : الطبيب الخاص بالسيد "**كلود آموري**" وعائلته.

"**جورج**" : خادم "**هركيول بوارو**"، وهو يعمل عنده منذ فترة طويلة. متحفظ وكتوم وخادم مخلص.

"**تريدويل**" : رئيس خدم منزل "**كلود آموري**"، وهو رجل عجوز ضخم الجسم.

الفصل الأول

كان "**هركيول بوارو**" يتناول إفطاره في مسكنه في "**ماي فير**" وهو بالنسبة إليه ميناء سلام. كان قد انتهى من تناول فطيرة مع قدح شوكولاتة عندما قطع قراءته في التقليد المقدس بغتة؛ لكي يطلب من خادمه الخاص أن يعد له قدحاً آخر، ثم– وهو في انتظار هذا المشروب الإضافي – وقع نظره على الصورة التي تعكسها له المرآة (على الجانب الآخر من الحجرة) على هذا الشخص الذي تجاوز الستين من عمره، القصير القامة، البدين ذي الرأس البيضي والشارب الكثيف المرتفع إلى أعلى، ثم حوّل اهتمامه إلى بريد الصباح الذي كان قد تصفحه متعجلاً ومازال في انتظاره على المكتب.

وإذ كان أسيراً للعادة، قد وضع الأظرف – التي أفرغ ما بداخلها – الواحد فوق الآخر، بعد أن قام بفضها بفتاحة أظرف على هيئة سيف دقيق كان قد أهداها إليه صديقه القديم القائد "**هاستينجز**" منذ سنوات بعيدة بمناسبة عيد ميلاده.

على المكتب يوجد عمود آخر يضم الرسائل التي كان يعتبرها غير مجدية، وكان مزمعاً تكليف "**جورج**" بإلقائها في سلة المهملات، أما العمود الثالث فكان عبارة عن خطابات: بعضها يحتاج إلى رد والبعض الآخر خاص باستقبالات أو دعوات. على أية حال، هو لن يهتم بها قبل الساعة العاشرة بعد الانتهاء من تناول الإفطار. كان "**بوارو**" يرى أن الانتهاء من عمل يوم كامل بالمنزل قبل الساعة العاشرة يعتبر أمراً مبالغاً فيه وتذكر أن الوضع يختلف إذا كانت هناك مهمة ضرورية تحتاج إلى الإنجاز، وتذكر ذلك اليوم الذي خرج فيه مع "**هاستينجز**" قبل الفجر، لأجل ...

لكن لا، "**بوارو**" لم يرغب في أن تذهب به أفكاره إلى الماضي. هذا الماضي القريب الذي كان يعجز عن الامتناع عن التفكير فيه. كان "**هاستينجز**" قد اتجه إلى "**الأرجنتين**" فور انتهاء آخر مهمة، كانا قد اشتركا معاً في العمل على حلها، وكانت مقاومة المنظمة الدولية للجريمة والمعروفة وقتئذ باسم الـ "**كاتر**" (أي الأربعة)، وكان قد قصد هذا البلد لكي يلحق بزوجته وبمزرعته الخاصة بتربية

الخيول والمواشي. وإن كان هذا الشخص العزيز يقيم حاليًّا في "**لندن**" في رحلة عمل، إلا أن علاقتهما الماضية مازالت قائمة.

تذكر "**بوارو**" الفترة التي تبادلا فيها العديد من المجاملات واشتركا معًا في العديد من المواقف: كيف كانت حياتنا إذن معًا؟ كان يحدث لنا أحيانًا أن نتناول العشاء معًا في "**ريتز بالاس**"، بل وأذكر هذه المسرحية التي كنا قد شاهدناها معًا، لكن آه! كم كانت الحياة جميلة في الفترة التي... لا، كان لابد له - جديًّا - أن يتخلص من ذكريات الماضي في هذه الفترة الصباحية من شهر أيار (مايو) عام 1934 وكانت بداية الربيع.

هل كان هذا هو سبب الاضطراب الذي لحق بـ "**بوارو**"؟ وعلى الرغم من أن "**بوارو**" قد ابتعد رسميًّا عن هذه المهام إلا أنه كثيرًا - أكثر من مرة - كان يحدث له أن يترك عزلته هذه كلما قُدِّمت له مشكلة. كان قد تذوق طعم السعادة عندما تواجد على نفس الطريق مع "**هاستينجز**"، هذا الشخص الذي كان يؤازره ويعاونه، لكن على أي حال، لا وجود لأي موضوع مهني مهم قد قُدم لـ "**بوارو**" منذ عدة شهور.

ألم يكن هناك بعد جرائم شاذة أو مجرمون غير حُذاق؟ ألم يعد كل شيء سوى عنف وفظاظة أو اغتيالات أو سرقات، كان لا يرى من الضرورة أن يهتم بها؟

فجأة قطع "**جورج**" حبل أفكاره. كان - هذا الأخير - يحضر له قدح الشوكولاتة الثاني. مرحبًا بهذا القدح، ليس فقط من أجل مذاقه الحلو، لكن لأنه سيمنحه بضع دقائق أخرى بعيدًا عن التفكير فيما تقدمه له هذه الفترة الصباحية المشرقة من فرصة للتنزه في الحديقة، والسير على قدميه من "**ماي فير**" للتوجه إلى مطعمه المفضل في "**سوهو**". هناك سيتناول - وحده - وجبة الغداء المكونة ممَّ يا ترى؟ ربما من طاجن بط يفتح شهيته، ويليه سمكة موسى... يتبعها...

لاحظ أن "**جورج**" بعد أن وضع له قدح الشوكولاتة قد توجَّه إليه بالكلام. كان "**جورج**" ذو الطابع الإنجليزي البحت يعمل على خدمة "**بوارو**" منذ فترة ليست بالقليلة. كان هذا الشخص مجردًا من الفضول، متحفظًا وكتومًا - وإن كان مجردًا

من الخيال – إلا أنه كان يجيد كيّ بنطلونات "بوارو"، وكان كثيراً ما يمدحه على ذلك. من حسن حظ "**بوارو**" أن يكون "**جورج**" هو خادمه المخلص، كان "**جورج**" يواصل كلماته بالآتي:

– ... فكان أني سمحت لنفسي بأن أقول لهذا الشخص إن سيدي سيتصل به صباح اليوم. حينئذ صاح "**بوارو**" قائلاً:

– المعذرة يا "**جورج**"، كنت شارداً. هل اتصل أحدهم بي يا "**جورج**"، أهذا ما تقوله؟

– نعم يا سيدي. مساء أمس عندما كنت في المسرح مع السيدة "**أوليفييه**"، كنت قد آويت إلى فراشي قبل عودتك وتراءى لي أن لا فائدة من تركي رسالة لسيادتك بذلك.

– ومن ذا الذي طلبني؟

– إنه شخص يُدعى السيد "**كلود آموري**" لقد ترك رقم تليفونه، وهو يشير إلى أنه من سكان "**سيري**"، ولقد ركز في أن الموضوع حسّاس، ولقد أكد ألا تترك اسمك لأحد عندما تتصل به، إنما عليك أن تسعى إلى التحدث معه شخصيًّا..

– شكراً يا "**جورج**"، ضع رقم التليفون على مكتبي، سأتصل به بعد تصفحي جريدة "**التايمز**". مازال الوقت مبكراً على أي حال بالنسبة إلى موضوع حسّاس.

حينئذ انحنى "**جورج**" وانصرف أثناء ما كان "**بوارو**" يرتشف قدح الشوكولاتة. وكانت أفكاره قد اتجهت إلى المسرحية البوليسية التي كان قد شاهدها – في الليلة السابقة – مع صديقته السيدة زوجة "**آرديان أوليفييه**". وكان بطل هذه الرواية "**شارل لاجتون**" الممثل البريطاني الشهير الذي يقوم بدور قصاص أثر عمل على حل اللغز. كم كانت دهشة السيدة "**أوليفييه**" عندما علمت أن "**بوارو**" اكتشف هوية السفّاح قبلها، وهي التي كانت تعتبر نفسها الروائية الموهوبة! وكانت قد عبرت عن ذلك بقولها:

– أنا لا أدرك كيف خمّنت ذلك بهذه السرعة... تأثر "**بوارو**" بكلامها، فقال:

– أنا لم أخمن قط، إنما يا عزيزتي "**أوليفييه**" أنا أستخدم قدراتي الذهنية.

لم يتمكن "**بوارو**" وقتئذ من مواصلة تفسيره للموقف؛ لأن السيدة "**أوليفييه**" أوقفته بسبب مللها من سماع تعليقاته التي سمعتها أكثر من مرة على الموقف بقولها:

– لا، لا ولا. كفى، كفاك. هيا بنا نتوجه إلى قهوة "**رويال**" القريبة من هنا؛ لكي تقدم إليّ كأسًا قبل أن نذهب لتناول العشاء.

أنهى "**بوارو**" قدح الشوكولاتة بابتسامة وهز رأسه. كم كان يحب "**آرديان أوليفييه**"! اتجه بعد ذلك إلى الشرفة وبيده الجريدة الصباحية، محاولاً إخفاء ابتسامة تعبر عن ذكرياته مع هذه السيدة المحبوبة.

وبعد دقائق، كانت الصحيفة ملقاة على الأرض... لقد أتت الأخبار الدولية محطمة كالمعتاد. لقد استولى هذا الـ "**هتلر**" الرهيب – وهو من الحزب النازي – وكذلك الفاشيون على حكم "**بلغاريا**". وما هو أسوأ من ذلك في البلد الذي هو مسقط رأس "**بوارو**"، في "**بلجيكا**". حدث اختفاء اثنين وأربعين عاملاً من عمال أحد المناجم قريبًا من "**مونز**" وذلك إثر انفجار غازي، كما أن الأخبار المحلية لم تكن أفضل من ذلك البتة. على الرغم من أن التحفظ المفروض سوف يصرح لمنافسات "**ويمبلدون**" بارتداء الشورت في خلال هذا الصيف.

لم تكن كذلك صفحة الوفيات أفضل، إذ كانت تحتوي على انتقال عدد ليس بالقليل من مواطني "**بوارو**" إلى الدار الباقية، إلى ذلك العالم الأفضل.

عندما فرغ "**بوارو**" من تصفح جريدته استلقى في مقعده ذي المسندين. و.. وفكر في السيد "**كلود آموري**". لاشك في أن لهذا الاسم صدى عنده. لقد سبق له سماع هذا الاسم قبل ذلك.. نعم، لابد أن يكون هذا السيد "**كلود**" شخصية بارزة. لكن في أي مجال؟ أهو شخص سياسي؟ أم محامٍ نقابي؟ أم هو موظف بارز مُحَال إلى المعاش: أي متقاعد؟ السيد "**كلود آموري**"... "**آموري**"...

وإذ كانت الشرفة تنعم في الصباح بأن تغمرها أشعة الشمس، وجد "**بوارو**" في ذلك فرصة لكي يستدفئ فيها بضع دقائق، فبعد قليل، سوف تشتد حرارة الشمس، و"**بوارو**" ليس من هواة الاسمرار في حرارة الشمس.

عندما تأمرني الشمس بالابتعاد عن هذا المكان ـ هكذا حدّث "**بوارو**" نفسه ـ سأعمل على البحث عن هذا الاسم في دليل التليفونات... هكذا سيكون هذا الشخص جديراً بمنحه الوقت والاهتمام الكافيين في حالة كون شخصيته ذات أهمية. وحدث أنه وجد الاسم في أحد الكتب في مكتبه:

السيد "**آموري**" حائز على جائزة "**نوبل**" عام 1927 وهو من مواليد 14 تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1878، وتزوج في عام 1907 بـ "**هيلين جرابام**" التي توفيت عام 1929 وله ابن يتابع دراسته في "**واي ماوث جرامار سكول**" في "الكلية الملكية" في "**لندن**" وباحث في معامل شركة "**جنرال إلكتريك**" عام 1905، ثم في قطاع الراديو في "السلاح الجوي الملكي"، "**فارنبورج**" عام 1916، ثم معهد بحوث وزارة الدفاع الجوي و"**سواناج**" عام 1921 مكتشف قاعدة تكثيف الموجات عام 1924 الحاصل على جائزة "**مونروز**" من منظمة الفيزياء... مِن أبرز ما نشر له: العديد من المقالات في المجلات المتخصصة.

العنوان: "**آبوتر كليف**"، في "**ماركيت كليف**"، "**سيري**".

تليفون: "304" في "**ماركيت كليف**". نادي: الـ "**أتبينام**". وتمتم "**بوارو**" محدثًا ذاته: "بالتأكيد إنه العالم الشهير". تذكر حينئذ حديثًا كان قد أجراه قبل الآن بعدة شهور مع أحد أعضاء حكومة فخامته بعد عثوره على بعض الوثائق المختفية والتي قد تكون سببت ضيقًا للسلطات بسبب ما تحتويه. كانت تتناول مجال الأمن، وهذا الدبلوماسي كان قد علم أن الاحتياطات والقواعد في هذا المجال غير كافية، إذ كان قد صارح "**بوارو**" يومئذ قائلاً:

ـ خذ السيد "**كلود**" مثالاً. إن المجال الذي يعمل فيه حاليًا سيتخذ وضعًا ذا أهمية خارقة في حالة الحرب. وفي هذه الحالة، لن يرفض القيام به في ظروف معملية؛ حيث تكون له ولاختراعه حماية. إنه متمسك بالقيام به في منزله الريفي بلا أي شروط أمنية، وهذا وضع مخيف. وفكر "**بوارو**" وهو يعيد المجلد إلى الرف قائلاً:

"إني لأتساءل عما إذا كان "**كلود**" لا يعهد إلى "**هركيول بوارو**" سوى بدور

كلب حراسة عجوز ومتعب؟! لن تكون لي الاختراعات الحربية ولا الأسلحة السرية، إذا حدث أن السيد "**كلود**"...." فجأة سمع "**بوارو**" رنين التليفون في الغرفة المجاورة، وسمع "**جورج**" وهو يرد عليه. بعد لحظة ظهر خادم، وقال:

– السيد "**كلود**" مرة أخرى يا سيدي. تناول "**بوارو**" سماعة التليفون قائلاً:

– مرحبًا! هنا "**هركيول بوارو**".

– السيد "**بوارو**"؟ وإن كانت لنا معلومات مشتركة، فإننا لم نتقابل قط. أنا أدعى "**آموري**"، "**كلود آموري**".

– لابد أن أكون قد سمعت عن سيادتك. واصل محدثه:

– اسمعني يا "**بوارو**"، عندي مشكلة شائكة، ليتك تعلم أن ما سأوافيك به سريٌّ جدًّا. إذا تسربت منه كلمة واحدة للجمهور... قاطعه "**بوارو**" بقوله:

– يا سيد "**كلود**"، أؤكد لك أني.. كيف تعبرون عن ذلك أيها البريطانيون؟ آه، لقد وجدت التعبير: أنا السريّة ذاتها وما ستوافيني به سيظل سرًّا بيننا.

– شكرًا، إن لي بك لثقة أكيدة. مشكلتي هي كالآتي: إني أعمل حاليًا في نظرية تفجر الذرّة. لن أدخل في التفاصيل، لكن وزارة الدفاع تولي ذلك أهمية قصوى. لقد انتهت أبحاثي وهأنا قد توصلت إلى تصنيع نوع خطير من المتفجرات... أكتفي بهذا القدر حاليًّا. والحال هذا، عندي ما يدفعني إلى الشك في أن أحد أفراد منزلي يسعى إلى الاستيلاء على هذه المعادلة، ولا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك، وأكون لك شاكرًا إذا وافقت على النزول إلى "**آبوتس كليف**" في عطلة نهاية هذا الأسبوع بصفة مدعو من قِبلي. إن ما أريده هو أن تحمل هذه النظرية معك عند عودتك إلى "**لندن**" وأن تسلمها إلى الوزارة، إلى شخص معين سأخبرك به. هناك مبررات لعدم تكليف أحد رجال الدفاع بهذه المهمة؛ لذلك أحتاج إلى شخص لا يكون من العلماء ولا من رجال العلم، إنما يكون على قدرٍ كافٍ من الدهاء والكياسة في الوقت نفسه لكي...

وهكذا واصل السيد "**كلود**" كلامه و"**بوارو**" يصغي إليه ملقيًا نظرة إلى انعكاس مظهره الأنيق في المرآة، قائلاً في نفسه: "لم يسبق لي القيام بمثل هذه المهمة أو أن أكون موضع تقدير بهذا المقدار"، ثم قال:

– يسعدني أن أقدم لك خدمة يا سيدي العزيز... لنر معًا. إننا اليوم الأربعاء، أليس كذلك سأتصرف لكي أصل مساء يوم السبت – إذا كان هذا يناسبك وأن أعود إلى "**لندن**" صباح يوم الاثنين حاملاً ما تكلفني به، وسأسعد بلقائك. أعاد "**بوارو**" سماعة التليفون وهو يفكر فيما لهذا الأمر من غرابة: حيث إن الأجانب يهتمون بأبحاثه في حين أن ذويه...

لكن سوف يتكشف له المزيد من خلال إجازة نهاية هذا الأسبوع. عاد مرة أخرى إلى التليفون وطلب رقم الـ "**ريتز**" وانتظر إلى أن تُعطى له الحجرة المطلوبة، بدأ حديثه قائلاً:

– عزيزي "**هاستينجز**"، لماذا لا تفكر في إجازة لعدة أيام بعيداً عن جو "**لندن**"؟ إن "**سيري**" منطقة ممتعة جدًّا في هذه المرحلة من العام... ثم نادى:

– "**جورج**"، اسمع، خذ بدلتي الـ "**تويد**" التي تناسب ما بين الفصول، وكذلك سترتي وبنطلوني السموكنج واذهب إلى المغسلة، على أن تتسلمها يوم الجمعة؛ لأني مزمع الذهاب لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في الريف.

إن من يسمعه يظنه ذاهبًا إلى "**آسيا الوسطى**" لتدريب فريق هناك على البقاء.

الفصل الثاني

عند مدخل ضاحية "**ماركيت كليف**" التي تبعد عن "**لندن**" بنحو أربعين كيلومترًا من جنوب شرق "**لندن**" كانت تقع "**آبوتس كليف**". كان سكن السيد "**كلود**" عبارة عن مبنى فسيح على الطراز الفيكتوري، مشيّد وسط حديقة مساحتها عدة أفدنة تظللها أشجار معمّرة.

وكانت خلف المنزل شرفة مطلة على الخضرة النازلة في انحدار إلى حديقة منسقة على النمط الفرنسي.

في يوم الجمعة هذا وعند بداية السهرة، وبعد حديث مع "**بوارو**" بثمانٍ وأربعين ساعة، كان السيد "**كلود**" غارقًا في التفكير في مكتبه الذي كان عبارة عن جزء

من البدروم. وإن كان صغيراً في مساحته، إلا أنه كان مؤثثا جيداً، وبه مكتبة.

كان السيد "**كلود**" يحب هذا الوضع؛ لأنه يساعده على العمل في عزلة بعيداً عن الإزعاج خلال النهار، وكان أفراد الأسرة قد تلقوا تعليمات بالابتعاد عن هذا المكان والإقامة في الجناح الآخر من المنزل. وكانوا لا يجتمعون إلا مرة واحدة في المكتبة وذلك بعد الانتهاء من تناول وجبة العشاء لتناول القهوة وأكواب مابعد العشاء.

كان مكتب السيد "**كلود**" في مواجهة الباب، وفي الوقت ذاته كانت من خلفه نافذة مطلّة على الحديقة- التي كان هذا الباحث لا يجد الوقت لتاملها إلا نادراً - وكانت الشمس قد بدأت تزول. كان "**تريدويل**" كبير الخدم. قد عمل على رن جرس العشاء قبل الموعد بدقيقتين أو ثلاث دقائق على الأكثر. اجتمعت الأسرة عند الجانب الآخر من المنزل في حجرة الطعام.

أخذ السيد "**كلود**" يصدر إيقاعًا باصابعه على مكتبه، وهي عادة مألوفة عنده، عندما كان لزامًا عليه اتخاذ قرارٍ سريع. كان السيد "**كلود**" في الخامسة والخمسين من عمره تقريبًا، بدينًا إلى حد ما، ذا قوام معتدل الطول. وكان يصفف شعره الذي خطه الشيب إلى الخلف بدءا من جبينه العريض، أما عيناه الثاقبتان فكانتا في هذه اللحظة تعبران عن القلق الممزوج بالحيرة أو الشك.

سُمع قَرعٌ على الباب، وسرعان ما تواجد "**تريدويل**" هذا العجوز الفارع على عتبة الباب. بادر بقوله:

- المعذرة يا سيد "**كلود**"، ظننتك لم تسمع القرع على الباب...

- بلى، بلى يا "**تريدويل**"، لقد سمعته. أخبر الجميع بأنني سأصل بأسرع مايمكن، وأنني مرتبط بمكالمة تليفونية. ليتك تبدأ بتقديم العشاء.

انصرف رئيس الخدم في سكون، بينما كان السيد "**كلود**" - وهو يتنفس بعمق- يجذب سلك التليفون إليه. أخرج مفكرة عناوين من درج مكتبه، وتصفحها ثم رفع سماعة التليفون. استمع لحظة قبل أن يتكلم أحد:

- هنا "304" في "**ماركيت كليف**" ليتكم تعطونني رقمًا في "**لندن**". ثم ذكر

الرقم المطلوب، وبعد ذلك ألقى بنفسه إلى المسند الخلفي لمقعده. وعادت أصابعه إلى الإيقاع بعصبية أمامه.

*****

بعد عدة دقائق، غادر السيد "**كلود آموري**" مكتب عمله واخترق المكتبة متجهًا إلى القاعة، ولحق بالآخرين في حجرة الطعام في الجناح الغربي من المنزل. أخذ مكانه في طرف المائدة حيث كان أفراد الأسرة قد سبقوه وجلسوا. عن يمين السيد "**كلود**": كانت ابنة أخيه "**بربارا آموري**" وكانت تجلس بجوار ابن عمها "**ريتشارد**" الابن الوحيد للسيد "**كلود**"، وكان عن يمين "**ريتشارد**" ضيف العشاء طبيب ايطالي يدعى "**كاريللي**"، وعلى يمين الطبيب مقابل السيد "**كلود**" كانت تجلس شقيقة هذا الأخير "**كارولين آموري**" – عانس – في الستين من عمرها. كانت هي التي تدير منزل شقيقها؛ لأن زوجته قد توفيت قبل ذلك بسنوات. وعن يمين الآنسة "**آموري**" كان "**إدوارد رينور**" السكرتير الخاص للسيد "**كلود**"، ثم "**لوتشيا**" زوجة "**ريتشارد**" بجوار سيد المنزل. لم يكن هناك ما يدعو إلى المرح أو الاسترخاء في العشاء، فقد كانت الآنسة "**كارولين آموري**" تحاول تبادل المواضيع البسيطة مع الدكتور "**كاريللي**" الذي كان يجيبها باحترام. وباختصار عندما التفتت الآنسة "**آموري**" نحو "**إدوارد رينور**" لكي تبدي له ملاحظة ما، فزع هذا الأخير بعصبية وتمتم عبارة اعتذار وقد بدا محرجًا، وكان السيد "**كلود**" يبدو كئيبًا في هذه الليلة. وكان ابنه "**ريتشارد آموري**" يلقي إلى زوجته "**لوتشيا**" من حين إلى آخر نظرات قلقة، وكانت الوحيدة التي تبدو عادية هي "**بربارا آموري**" وكانت تتحدث ببشاشة مع عمتها. قالت من بين كلماتها وهي تتناول العشاء:

– صدقيني يا عمتي "**كارولين**"، إن سمكة موسى هذه جيدة جدًا. لقد أحسنت بتركك "**هويس**" السمّاك العجوز وذهابك إلى سمّاك القرية الجديد. وردت عليها عمتها بتمتمة غير واضحة..

وعندما كان رئيس الخدم يقدم التحلية، التي كانت عبارة عن سلطة فواكه، توجه

إليه السيد "**كلود**" قائلاً بصوت مسموع لجميع الحاضرين:

- ليتك يا "**تريدويل**" تتصل هاتفيًا بجراج "**جاكسون**" في "**ماركيت كليف**" ليرسلوا سيارة بالسائق إلى محطة القطار الذي يصل الساعة 20:50 من "**لندن**"؛ لأنه سينزل منه ضيفان لنا بعد العشاء. أجابه وهو ينصرف:

- سمعا وطاعة يا سيدي. عندما أغلق رئيس الخدم الباب خلفه كان "**ريتشارد**" أول من عاد إلى الكلام، وسأل:

- من هما هذان السيدان يا أبي، هل أنت في انتظار أحد ما بعد العشاء؟ وهل هما من "**لندن**"؟ رفع رب البيت يده مطالبًا بالسكوت قائلاً:

- ستعرفون كلكم كل شيء بعد قليل. لديَّ ما أعلنه في المكتبة عندما ننتهي من تناول العشاء... وحتى ذلك الحين ليس لدي ما أضيفه.

وما إن أنهى السيد "**كلود**" كلامه حتى نهضت "**لوتشيا آموري**" من أمام المائدة واستأذنت وأسرعت إلى خارج القاعة. اخترقت القاعة فوراً وتوجهت نحو المكتبة. كانت حجرة المكتبة مريحة بقدر ما هي أنيقة في تنسيقها؛ لذلك كانت تقوم بدور الصالون للأسرة. لهذه الحجرة باب نافذة يفتح على شرفة في الواجهة تشغل جزءاً كبيراً من الحديقة، كما كان عند نهاية الحجرة باب يقود إلى مكتب السيد "**كلود**"، وعلى يسار باب المكتب كانت توجد مدفاة معلّق فوقها ساعة حائط قديمة. وبعض اللوحات وكذلك زهرية مليئة بقصاصات ورق سميك يستخدم للإشعال. وعن يمين الحجرة للآتي من الصالة، كان يوجد باب يؤدي إلى باقي المنزل: المدخل والسلم الصاعد إلى الحجرات في الطابق الأول، وإلى مسكن الخدم أعلاه.

كان أثاث المكتبة كالآتي: على يسار الباب - عند الدخول - مائدة العمل وعليها التليفون، ورفٌّ مرتفع عليه كتب، وعلى يمين الباب توجد نافذة، ومنضدة صغيرة عليها فونغراف وأسطوانات، وأريكة ومنضدة منخفضة. وحول طاولة مستديرة وسط الحجرة كان يوجد مقعدان أحدهما ذو مسندين بجوار الحائط. وكانت منضدة أخرى عليها وعاء من النحاس به نبات ظل. كان الأثاث تقليديًّا، لكنه لا يعتبر قديمًا.

كانت "**لوتشيا آموري**" - وهي سيدة في الخامسة والعشرين من عمرها، شعرها الجميل الكستنائي ينزل على كتفيها، وكانت عيناها تخفيان نوعًا من الألم - تقف وسط الحجرة مترددة، ثم اتجهت نحو باب النافذة، وأبعدت السِّتر قليلاً ونظرت إلى الظلام. أطلقت زفيرا يكاد يُسمع ثم أسندت جبينها إلى الزجاج الرطب ومكثت تائهة وغارقة في أفكارها. حينئذ سُمع صوت الآنسة "**آموري**" في القاعة وهي تقول:

- "**لوتشيا**"، "**لوتشيا**" أين أنت؟ بعد لحظة دخلت الآنسة إلى المكتبة واقتربت من "**لوتشيا**"، وأمسكت بذراع السيدة وقادتها إلى الأريكة، وقالت لها:

- هيًّا يا بنتي العزيزة، هيًّا اجلسي. تفحصتها بإمعان لحظة قبل أن تقدم تشخيصها:

- ستشعرين بالتحسن خلال دقيقة أو دقيقتين. وابتسمت "**لوتشيا**" لـ "**كارولين**" وهي تجلس تعبيراً عن الامتنان والشكر، وقالت:

- نعم بالتأكيد. على الرغم من أنها كانت تجيد التحدث باللغة الإنجليزية إلا انه كان في حديثها مايكشف عن أنها ليست لغتها الأصلية.

- إنها حالة انحراف مزاج خفيفة ليس إلا. إذ أشعر بأني جافة. وهي المرة الأولى التي يحدث لي ذلك، لا أفهم لماذا، ماذا دهاني؟ أرجوك يا عمتي "**كارولين**" عودي إلى الآخرين. سأتصرف جيداً بمفردي.

بينما كانت "**كارولين آموري**" تواصل النظر إليها متفحصة إياها، أخرجت "**لوتشيا**" منديلاً من حقيبة يدها ومسحت عينيها ثم أعادت المنديل إلى حقيبتها وابتسمت ثانية، وكررت:

- أؤكد لك أن الأمور ستسير على ما يرام. لكن الآنسة "**آموري**" لم تظهر مقتنعة البتة. ألقت إليها نظرة قلقة، وقالت:

- لم يكن مزاجك معتدلاً في أثناء العشاء.

- لا؟

- حقًّا لا. جلست بجوار "**لوتشيا**" على الأريكة.

– ربما تكونين قد أصبت بنزلة برد؟ أحيانًا الصيف يخوننا. ليس مثل شمس "**إيطاليا**" التي اعتدتها. كم "**إيطاليا**" بلد ظريف، حلو المناخ! وضعت "**لوتشيا**" حقيبة يدها بجوارها، وتمتمت:

– "**إيطاليا**"... "**إيطاليا**".

– أعلم يا بنتي أنك مفتقدة بلدك؛ لذلك أنت حزينة. يا له من تأثير فظيع الذي يسببه المناخ أولاً ومن بعده العادات، وقد نبدو نحن أيضًا في نظرك فاترين، في حين أن الإيطاليين بالتأكيد... وهنا صاحت "**لوتشيا**":

– لا، إنني لست مفتقرة إلى "**إيطاليا**"... لا أبدًا.

– لا مجال للخجل من ذلك يا بنتي. كررت "**لوتشيا**" في الحال:

– أبدًا، إني أمقت "**إيطاليا**"، وكنت دائمًا أكرهها. ووجودي في "**إنجلترا**" يشعرني بأني في الجنة، بينكم في الجنة، بينكم كلكم أنتم اللطفاء معي. نعم الجنة. فامتدحتها "**كارولين**" بقولها:

– إنها لمحة طيبة من قبلك يا عزيزتي لمواجهة هذه المواقف بمثل هذه المحبة، حتى لو كانت كلماتك هذه من باب المجاملة. وحقًا إننا جميعًا نعمل على جعلك تشعرين هنا بالسعادة والارتياح كما لو كنت في دارك. ومع ذلك، لا غرابة في أن تشعري بالحنين إلى الوطن... بالإضافة إلى فقدك والدتك. قاطعتها "**لوتشيا**":

– أرجوك. أتوسل إليك، لا تكلميني عن أمي.

– لا، بالتأكيد إذا كنت تفضلين أن أتجنب هذا الموضوع، صدقيني أنا لم أقصد إيلامك يا بنتي. (يا إلهي هكذا فكرت – يا لأولئك الأجانب!) أتريدين أن أحضر لك أملاحًا من حجرتي؟ أجابتها "**لوتشيا**":

– لا، شكرًا جزيلاً. أؤكد لك أني أشعر حاليًا بتحسن كبير. كررت "**كارولين**" استعدادها لإحضار ما ذكرته، فكان أن ابتسمت لها "**لوتشيا**"، ولكنها لم تجبها.

ثم نهضت الآنسة "**آموري**" وهي مترددة، لا تدري ما إذا كان عليها أن تحضر لها الدواء أم لا. ثم دارت حول الأريكة من خلف "**لوتشيا**" وأصلحت الوسائد، ثم استطردت:

– نعم، لقد أصابتك نوبة برد قوية. لقد كنت صباح اليوم مشرقة وكلك حيوية.

هذا إن لم يكن ذلك نتيجة تأثرك عندما رأيت هذا الصديق الإيطالي. الدكتور " **كاريللي** "؟ لقد أتت زيارته مفاجأة غير متوقعة وقد تكون سببت لك صدمة.
وكان "**ريتشارد آموري**" زوج "**لوتشيا**" قد دخل إلى المكتبة أثناء ما كانت الآنسة "**آموري**" تتكلم، دون أن تراه. ويبدو أن كلمات هذه الآنسة المسنّة قد سببت اضطرابًا لـ "**لوتشيا**" التي ارتجفت واقشعر بدنها وأغمضت عينيها. اضطربت الآنسة "**آموري**"، وصاحت:

- يا إلهي! ماذا بك؟ هل تشعرين بالتعب مرة أخري؟ هنا أغلق "**ريتشارد**" المكتبة واقترب من السيدتين. وكان "**ريتشارد**" شابًا إنجليزيًا في ثلاثينيَّاته ذا شعر أشقر وقوام معتدل ممتلئ نسبيًا وقوي العضلات. توجه إلى الآنسة "**آموري**" قائلاً:

- اذهبي أنت يا عمتي لإنهاء العشاء. ولا تقلقي بشأن "**لوتشيا**" سأعتني بها.
لكن الآنسة ظلت مترددة ثم قالت:

- آه! أنت هنا يا "**ريتشارد**". نعم، كان المفروض أن أعود إلى هناك. قالت هذا وتقدمت خطوتين نحو باب القاعة ولكنها كانت مترددة ثم قالت:

- إنك تعلم كم يمقت والدك كسر أي نظام كان، خاصة بوجود ضيف في المنزل.
ثم التفتت نحو "**لوتشيا**":

- هذا ما كنت أقوله بالضبط، أليس كذلك يا بنتي العزيزة؟ كنت أرى غرابة المصادفة التي جعلت الدكتور "**كاريللي**" يحضر وهو يجهل وجودك في هذه البقعة التائهة من الريف. لقد تواجدت وجهًا لوجه معه في القرية. ولقد دعوته لتناول الشاي بعد ظهر اليوم. لابد أنها كانت مفاجأة، أتصور ذلك. أجابتها "**لوتشيا**" في رخاوة:

- تقريبًا. وواصلت الآنسة "**آموري**" حديثها:

- حقًّا، إن الدنيا صغيرة. هذا ما أكرّره دائمًا. إن صديقك شاب جميل يا "**لوتشيا**".

- ترين ذلك؟

- على طراز أجنبي بالتأكيد، لكن لا شك في أنه شاب جميل، كما أنه يجيد التحدث بالإنجليزية.

– نعم، ربما جيداً. على ما يبدو أن الآنسة "**آموري**" لم تكن مستعدة لتغيير مجال الحديث:

– أحقًّا لم تكن عندك أدنى فكرة عن حضوره إلى هنا؟ أجابت "**لوتشيا**":

– بتاتًا. في هذه الأثناء لم يبعد "**ريتشارد**" نظره عن زوجته، ثم قال فجأة:

– يا للمفاجأة العجيبة بالنسبة إليك يا "**لوتشيا**"! ألقت هذه الأخيرة عليه نظرة خاطفة ولم تجبه. حينئذ أشرق وجه الآنسة "**آموري**"، وقالت:

– أتصور ذلك يقينًا. هل تعرفينه جيداً في "**إيطاليا**" يا بنتي العزيزة؟ وهل كان أفضل صديق لك؟ إن ذلك واضح، وأرى ذلك جيداً، إنه لا يمكن أن يكون هناك من هو أفضل. أجابت "**لوتشيا**" وقد بدا الضيق في صوتها:

– لم نكن قط أصدقاء.

– آه! مجرد تعارف. علاقة. وهذا لم يمنعه من قبول دعوتي له على العشاء دون حرج. إني أجدهم دائمًا لا يشعرون بالحرج أولئك الأجانب. آه! لم أغفل عنك ياعزيزتي... توقفت الآنسة "**آموري**" عن رقتها في حياء، لكنها سرعان مااستطردت:

– لأنك نصف إنجليزية، على أية حال، وحتى لو كنت إنجليزية بالكامل، أليس كذلك يا "**ريتشارد**"؟ قالت هذا وهي تنظر بنظرة ماكرة إلى ابن أخيها.

لم يجب هذا الأخير على ما قالته عمته. وعوضًا عن ذلك، اتجه إلى الباب وفتحه بمثابة دعوة إلى الآنسة "**آموري**" أن تلحق بالآخرين. ختامًا لكلامها قالت وهي متجهة نحو الباب رغمًا عنها:

– حسنًا. إذا كنتما متأكدين من أنني لا أستطيع القيام بأكثر من ذلك...

– لا، لا شيء. وكانت نبرة "**ريتشارد**" – أثناء ما كان ممسكًا بالباب وفاتحا إياه – قد أصبحت جافة مثل كلماته. وهكذا انصرفت الآنسة "**آموري**" بعد أن ألقت ابتسامة خاطفة. أطلق "**ريتشارد**" زفير ارتياح وهو يغلق الباب خلفها، ثم عاد إلى زوجته وهو يتمتم:

– كنت معتقداً أنها لن تنصرف أبداً.

– كانت تحاول فقط أن تكون لطيفة.

– أنا لا أشك في ذلك لحظة واحدة. ولكنها تحاول دائمًا أن تحرّك مشاعري.

– إنها تحبني كثيرًا. هذا ما تمتمته "**لوتشيا**" . وأردف "**ريتشارد**" وهو شارد:

– هيه؟ آه نعم، هذا أكيد. وقف بلا حركة يراقب زوجته بانتباه.

وخلال لحظات، ساد المكان صمت ممزوج بالحرج، ثم اقترب منها دون أن يبعد نظره عنها:

– هل أنت واثقة بأنك لست محتاجة إلى شيء لا أستطيع أن أحضره لك؟ لست أدري. رفعت "**لوتشيا**" عينيها نحوه وهي تنتزع ابتسامة:

– أنا واثقة بذلك، شكرًا يا "**ريتشارد**" هيّا عُد إلى حجرة الطعام وثق بأني تحسنت كثيرًا الآن. أردف "**ريتشارد**" :

– لا، سأبقى هنا معك.

– لا، أُفضّل البقاء بمفردي. تلا ذلك لحظة صمت، ثم استطرد "**ريتشارد**" وهو يقف خلف الأريكة:

– هل هذه الوسائد كافية؟ أم أحضر لك واحدة أخرى تحت رأسك؟ أجابته:

– لا، عندي ما يكفيني. لست مفتقرة إلا إلى الهواء. ليتك تفتح... اتجه "**ريتشارد**" فورًا إلى باب النافذة وفتحه، وعندما وصل إليه صاح:

– آه! لقد وضع الأب ضبة أمان من اختراعه. ولا يمكن فتح الباب دون مفتاح. هزّت "**لوتشيا**" كتفيها، وتمتمت:

– لا يهم. وعاد "**ريتشارد**" إلى وسط الحجرة وجلس على مقعد بجوار المائدة المستديرة، ثم مال إلى الأمام، مستندًا بكوعيه إلى فخذيه. وقال:

– يا لها من ظاهرة! لابد أن يأتي الأب دائمًا بحيلة معينة. أجابته "**لوتشيا**" :

– نعم، لابد أنه ربح كثيرًا من الاكتشافات والاختراعات. أردف "**ريتشارد**" وقد بدا عابسًا:

– ليس المال الذي يهمه. إنهم كلهم – بالإجماع – متشابهون أقصد أولئك المنشغلين بالعلوم. إنهم دائمًا يلاحقون الأفكار ويجدون لذّة في الاختراع، بعضها

لا يفيد بشيء، ولا يفيد الغير بقدر ما يحصل الواحد منهم على متعة... مثلاً تفجير الذرة.

– هذا لا يمنع أنه رجل عظيم. أيّد "**ريتشارد**" كلامها بقوله:

– لا شك في أنه من مشاهير علماء عصرنا. على الأقل هذا هو رأي الأغلبية، لكن ليس سوى رأيه هو الذي يوضع في الاعتبار. وكان "**ريتشارد**" يعبر عن رأيه بمزيد من الإثارة.

– كما أنه عمل معي مقلبًا.

– أعلم ذلك. ثم أردفت "**لوتشيا**".

– إنه يقيّدك في هذا المنزل وكأنك سجين. لماذا دفعك إلى التخلي عن عملك في الجيش والعودة للبقاء والسّكنى هنا؟

– أعتقد لأنه تصور أني قد أستطيع معاونته في أبحاثه. مع العلم، أنه كان ينبغي أن يدرك أني لن أفيده بشيء في هذا المجال، إذ إني ليس لديّ الكفاءات اللازمة، أما "**رينور**" فقد حصل – على الأقل – على دراسات علمية. إنه أكثر من سكرتير. إنه يلازمه في أبحاثه. قرَّب "**ريتشارد**" كرسيه من زوجته ومال من جديد إلى الأمام وتابع:

– صدقيني يا "**لوتشيا**" هذه الأمور تعرضني أحيانًا لليأس؛ فإنني أرى والدي ينفق كل ماله على هذه التجارب اللعينة، ومع ذلك كان بوسعه على الأقل أن يتركني أستفيد قليلاً بكل ما سوف يعود إليَّ ذات يوم، وأن يمنحني حق استغلال هذا المنزل خلال فترة شبابي، لإنجاز شيء آخر بالإضافة إلى وجودي في الحياة. حينئذ نهضت "**لوتشيا**" فجأة، وصاحت بحرارة:

– المال. كل شيء يرجع دائماً إلى ذلك المال. واصل "**ريتشارد**":

– أنا أشبه بذبابة وقعت في خيط عنكبوت أي أصبحت عاجزاً عن الحركة، وخاضعًا. أطالت "**لوتشيا**" النظر إليه وقد فرغ صبرها، وصاحت:

– آه يا "**ريتشارد**". وأنا أيضًا. ألم تدرك ذلك؟ ألقى إليها زوجها نظرة قلقة، وفي الوقت الذي كان متأهبًا للرد عليها كرّرت:

– وأنا... أنا أيضًا. إني واقعة في الفخ، أنا أيضًا أصبحت عاجزة عن التصرف ومع ذلك أريد أن أبتعد. لقد مللت ولم أعد أحتمل. وفجأة نهضت واتجهت نحوه، وقالت وقد بدا عليها الانفعال:

– "**ريتشارد**"، أتوسل إليك. اصطحبني قبل فوات الأوان. سألها وفي نبرة صوته شيء من اليأس:

– أصطحبك؟ لكن إلى أين؟ يا إلهي!

– إلى أي مكان آخر، حيثما تشاء، إلى أي مكان، لكن بعيداً عن هذا المنزل. أنا خائفة يا "**ريتشارد**". هأنا أكرر، أنا خائفة. إني أرى خيالات. كانت "**لوتشيا**" تطلب منه ذلك وقد ازدادت عصبية. ونظرت من أعلى كتفه وكأنها تراها.

– خيالات في كل مكان. لم يتحرك "**ريتشارد**" من مقعده، وسألها:

– كيف يمكننا الابتعاد عن هذا المكان دون مال؟ ورفع عينيه نحوها وواصل بمرارة:

– الرجل المفتقر إلى المال لا يمكنه أن يفيد الزوجة يا "**لوتشيا**"، أليس كذلك؟ فأبدت حركة تراجع، وقالت:

– لماذا تقول ذلك يا "**ريتشارد**"؟ وما معنى هذه الملاحظة؟ وهكذا استمر "**ريتشارد**" في التطلّع إليها وملامحه مشدودة وغير معبّرة، سألته:

– ماذا بك هذا المساء؟ إنك تختلف عن المعتاد. نهض من على مقعده وهو يقول:

– أنا؟

– نعم أنت، ماذا بك؟

– حسنًا... هكذا بدأ، لكنه توقف في الحال... وبعد قليل واصل كلماته:

– لا شيء، حقًّا لا شيء. وعندما أراد أن ينصرف، أوقفته "**لوتشيا**" ووضعت يديها على كتفيه:

– "**ريتشارد**"، يا عزيزي. تحرّر منها وألقى إليها نظرة تعبّر عن القلق. كررت، لكن بنبرة توسُّلية في هذه المرة:

– "**ريتشارد**". وضع "**ريتشارد**" يديه خلف ظهره ووقف ومازالت نظرته جامدة، وأخيرًا انفجر:

– هل تعتبرينني مغفلاً؟ ربما أنت تعتقدين أني لم أرَ صديقك القديم وهو يضع ورقة في يدك؟ وكان قد ركز في قوله: صديق قديم.

– تقصد أنك ظننت... قاطع "**ريتشارد**" زوجته بجفاف:

– لماذا تركت المائدة؟ إنك لم تصابي بانحراف مزاج فجائي. لم يكن ذلك سوى ادعاء، أو مبرر، أو حجة. كنت تسعين إلى التواجد بمفردك لقراءة ورقتك الثمينة. وكنت غير قادرة على الانتظار. وبعد خمس دقائق بدا عليك القلق ونفد صبرك؛ لأنك عاجزة عن التخلص منا. أولاً من العمة "**كارولين**" التي كانت تبدي قلقها من جهتك، ثم مني. كان "**ريتشارد**" يتكلم وقد بدا عليه الأسى وفي الوقت نفسه كان يكتم ثورته. فصاحت "**لوتشيا**":

– "**ريتشارد**"، أنت مجنون... إنك تتصور أني منجذبة إلى "**كاريللي**" أخبرني بصراحة. إنك الوحيد في الدنيا بالنسبة إليَّ. إني أحبك ولابد من أن تدرك ذلك.

واصل "**ريتشارد**" التطلع إليها، ثم دون أن يرتفع صوته، سألها:

– ما الذي في هذه الورقة؟

– لا شيء.

– إذن، طالما ليس فيها شيء أريني إياها.

– لا أستطيع. ثم انخفض صوت "**لوتشيا**" وأصبح همسًا:

– لقد أعدمتها. ابتسم "**ريتشارد**" غير مصدق، وكرّر:

– ليست الحقيقة، أريني إياها. بعد لحظة صمت ألقت "**لوتشيا**" إلى زوجها نظرة توسل، وأردفت:

– ألا تثق بي يا "**ريتشارد**"؟ وصُدم الزوج وتقدم نحوها خطوة قائلاً:

– بإمكاني أن أنتزعها منك بالقوة، كما أني أرغب في... تراجعت الزوجة وهي تطلق صرخة خفيفة وعيناها دائمًا شاخصتان إلى زوجها كمن تتوسل إليه أن يصدقها، ثم التفت فجأة، وتمتم:

– لا، هناك أمور لا نستطيع تنفيذها. مرة أخرى وقف في مواجهة زوجته:

– لكن بشرفي. سأتحقق من كل ذلك مع "**كاريللي**" وأحدد وضعي معه. أمسكت "**لوتشيا**" في الحال بذراع زوجها بيأس:

– لا، لا يا "**ريتشارد**"، لا تفعل ذلك. أتوسل إليك. قهقه الزوج وهو يقول:

– إنك تخشين على محبوبك. قالت بمرارة:

– كفاك غباء، إنه ليس محبوبي. فأمسك بكتفيها... وقال:

– قد لا يكون هكذا... وليس بعد. ربما سيكون هذا المساء. عند سماعه صوتًا يقترب في القاعة توقف "**ريتشارد**" عن الكلام، وبذل جهداً كبيرًا لكي يتمالك نفسه، ثم اتجه نحو المدفأة وأخرج علبة السجائر والولاعة وأشعل واحدة. وفي اللحظة التي فُتح فيها الباب والأصوات أصبحت أكثر وضوحًا أسرعت "**لوتشيا**" إلى المقعد الذي كان "**ريتشارد**" جالسًا عليه. وهي شاحبة ومتشابكة اليدين ومتقلصة ألقت بنفسها عليه وهي في قمة التعاسة، وإذا بالآنسة "**أموري**" تدخل إلى المكتبة وبرفقتها ابنة أخيها "**بربارا**". "**بربارا**" فتاة في العشرين من عمرها، شقراء جميلة، تتصف بالرشاقة والأناقة. تقدمت هذه الفتاة نحو "**لوتشيا**" وهي تهز حقيبة يدها، وسألتها بمودة:

– ألا تشعرين بتحسن يا عزيزتي؟

الفصل الثالث

عندما رأت "**لوتشيا**" "**بربارا**" تقترب منها حاولت أن تبتسم وقالت:

– نعم، شكرًا يا عزيزتي، إني حقًّا أشعر بتحسن كبير. أنا على ما يرام. وقفت "**بربارا**" تتأمل زوجة ابن عمها، تلك السمراء الجميلة. سألتها بشيء من المكر:

– ألم تنبئي زوجك بحدث سعيد، بالمصادفة قد يكون هذا الحدث هو سبب ما شعرت به؟ أردفت "**لوتشيا**" فزعة:

– حدث سعيد؟! أي حدث سعيد؟! أنا لا أفهم! شبّكت "**بربارا**" ذراعيها

وهزتهما كمن تهدهد وليداً.

كان رد "**لوتشيا**" على هذا التعبير بالحركات عبارة عن ابتسامة حزينة مع هزة رأس. وإذا بالآنسة "**آموري**"، تلقي بنفسها على مقعد ذي مسندين وقد بدا عليها أنها شعرت بأن هذه الكلمات محرجة. قالت مؤنبة ابنة أخيها:

– على أي حال يا "**بربارا**"، كيف تنطقين أو تبدين مثل هذه الملاحظات؟ أجابتها "**بربارا**" غير مبدية أي ندم:

– الحوادث يا عمتي كثيراً ما تحدث وأنت تعلمين، "**لوتشيا**" و"**ريتشارد**" كان بإمكانهما إنجاب طفل غير متوقع. هزّت العمة رأسها قائلة:

– إني لأتساءل إلى أين ستصل فتيات هذا الجيل؟! قالت هذا غير موجهة الكلام إلى أحد، وتابعت:

– عندما كنت فتاة وحتى شابة كنا لا نسمح لأنفسنا بخوض مسألة الأمومة على هذا النحو. توقفت عن الكلام عندما سمعت الباب يُفتح و"**ريتشارد**" يغادر الحجرة. اقتربت من "**بربارا**" وهمست لها:

– هأنت أصبت "**ريتشارد**" بالحرج، ولا أُدهش لذلك على أي حال. أردفت "**بربارا**" رداً على عمتها:

– هذا وضع طبيعي يتم بتلقائية. على أي حال، أنت مولودة عندما كانت الملكة "**فيكتوريا**" في العشرين من عمرها. إنك تمثلين جيلك وأنا كذلك. قالت العمة بنبرة جافة في الحال:

– حسناً، وحتى لو كان الوضع يختلف فلن أفكر في المبادلة... وإذا بضحكات "**بربارا**" تقاطعها قائلة:

– إنكن رائعات. أن تحكين للأطفال أن الأبناء تولد في الملفوف (الكرنب) في "**فرنسا**" وفي نبات آخر في "**إنجلترا**". حقًّا إني أرى ذلك ممتعًا. ويحدث كثيراً أن أندم لعدم قدرتي على العودة إلى هذا العصر القديم. لكن الأزمنة تتغيَّر يا عمتي "**كارولين**". إنك لا تستطيعين إيقاف التطور أو الحد منه، ولا إبقاء شباب هذا الجيل في الجهل بالنسبة إلى حقيقة الوجود.

وبحثت "**بربارا**" في حقيبة يدها، وأخرجت سيجارة وولاعة وأشعلت السيجارة. وإذ كانت متأهبة للعودة إلى الكلام، أوقفتها الآنسة "**آموري**" الموقَّرة بإشارة منها.

– كفى يا "**بربارا**"، إني قلقة بشأن هذه الابنة المسكينة وعشمي ألا تسخري مني. فجأة اخترطت "**لوتشيا**" في البكاء والانتحاب، ثم مسحت دموعها المنسابة على وجهها، وقالت بين دفعتين من الفُواق:

– حقًّا كلكم تظهرون نحوي كل طيبة... لم يسبق لي ملاقاة من يمنحني مثل هذا اللطف قبل أن أصل إلى هنا وقبل زواجي بـ "**ريتشارد**". حقًّا إن وجودي بينكم وضع رائع، وإنه أقوى مني أن...

– هيّا، هيّا هكذا قالت لها الآنسة "**آموري**" بصوت منخفض، ثم نهضت وربتت كتفها وأردفت قائلة:

– إنني مدركة جيداً يا عزيزتي أن حياتك كلها في الغربة وهذا الوضع لا يعتبر الوضع المثالي لفتاة كي تنشأ وفقًا لكل قارة بما لها من أفكار خاصة عن التربية. هيّا، هيّا اهدئي.

نهضت "**لوتشيا**" وألقت نظرة مترددة على ما حولها في الحجرة، واستسلمت لـ"**كارولين آموري**" التي قادتها إلى الأريكة وأجلستها على طرفها حتى تعيد الآنسة "**آموري**" ترتيب الوسائد لكي تجلس بجوارها. قالت لها:

– إنك مضطربة، وهو وضع طبيعي، لكن عليك أن تنسي "**إيطاليا**" لا شك في أن البحيرات الإيطالية عندكم هناك رائعة في الربيع – وهو ما أكرره دائماً (حلم الإجازات) – لكن لن يعيش الناس فيها طوال العام. هيّا، لا تبكي يا بنتي العزيزة.

– أعتقد أن ما يلزمها ليست أحاديث عن البحيرات الإيطالية، إنما كأس. هذا ما اقترحته "**بربارا**" وكانت وقتئذٍ جالسة على طرف المائدة تراقب وجه "**لوتشيا**" بنظرات فاحصة، لكنها كانت لا تخلو من العاطفة، وأضافت:

– إنك تعلمين يا عمتي "**كارولين**" أن الحياة في هذا المنزل كئيبة، حياة متأخرة كثيراً عن عصرنا هذا، فلا وجود لعصير فواكه مخلوط مثلاً، ولا وجود لشراب أيضًا قبل العشاء وبعده، و"**ريتشارد**" لا يعرف كيفية إعداد عصير فواكه مناسب.

حاولي أن تطلبي شرابًا من "**إدوارد رينور**" بمجرد أن تريه، وسيقدمه في لمح البصر. التفتت الآنسة "**آموري**" إلى ابنة أخيها دهشة ومستنكرة، وسألتها:

– في لمح البصر؟! ما معنى هذا؟! أجابت "**بربارا**":

– عندما يكون لديه مكونات الشراب التي تحتوي على كريمة النعناع وقليل من الفلفل، وهذا مهم جدًّا ويجب ألا يغفل عنه؛ لأن له تأثيرًا قويًّا وعجيبًا.. والنتيجة مضمونة! اقشعرّت الآنسة "**آموري**"، وقالت:

– أتعلمين يا "**بربارا**" أني لا أؤيد هذه الحيل المعتمدة على الشراب. كان والدي يكرر دائمًا... قاطعتها "**بربارا**" بقولها:

– ما كان يقوله أنا أجهله، لكن أفراد العائلة يعلمون أن عمي الكبير "**آلجرنون**" له شهرة بإدمانه الشراب. في البداية بدت الآنسة "**آموري**" موشكة على الانفجار، لكن سرعان ما ارتسمت ابتسامة مترددة على شفتيها، واكتفت بالرد:

– إنها حقيقة، إن للسادة الحق في الخروج عن بعض الالتزامات. لكن "**بربارا**" لم تفهم ذلك. قالت:

– الخروج عن الالتزامات! ما هذا؟! أنا لا أدري لماذا يُسمح لهم بما هو ممنوع بالنسبة إلينا، والمأساة هي أن في جيلهم كان كل شيء مباحًا لهم. ثم أخرجت من حقيبة يدها مرآة وعلبة بُدرة وأحمر شفاه، وتساءلت:

– كيف أبدو؟ يا إلهي! وبدأت في طلاء شفتيها وهي مبدية شيئًا من التقزز المضحك وجاء تعليق العمة متأثرة:

– حقًّا يا "**بربارا**"، إن هذا اللون صارخ جدًّا. ليتك لا تضعين كثيرًا منه. حينئذ أجابت "**بربارا**" بانفعال وهي مازالت مستمرة في عملها:

– لا ينقص سوى ذلك، ألا أقوم بذلك! علمًا بأن هذه الزينة كلّفتني سبعة شلنات وستة بنسات.

– سبعة شلنات وستة بنسات! يا للتبذير! كل هذا من أجل...

– أحمر شفاه يا عمة "**كارولين**".

– أطلب منك العفو؟

– إن هذا النوع من أحمر الشفاه. لا يسبب سيل اللعاب ولا ينطبع على وجنة الآخر. استطردت الآنسة "**اموري**":

– إنني أعلم ذلك ولا أحتاج إلى تفسير إن الشفتين تتعرضان للجفاف عندما تكون هناك ضرورة للخروج ومواجهة رياح شديدة، ويوصى بوضع مادة دهنية عليهما مثل "اللانولين". لقد اعتدت استخدامه على الدوام؛ لمقاومة الجفاف الذي يصيب الشفتين. قاطعتها "**بربارا**":

– يا عمتي العزيزة "**كارولين**"، صدقيني؛ لأني أعرف الكثير عن هذا الأمر، الفتاة لا تضع أبداً كثيراً من أحمر الشفاه. ولنفس السبب هي لا تعرف أي قدر ستفقد منه في السيارة الأجرة التي ستعيدها إلى منزلها.

قالت هذا وأعادت المرآة إلى مكانها: أي إلى حقيبة يدها وكذلك علبة البُدرة وأحمر الشفاه. كانت الآنسة "**آموري**" قد مكثت صامتة ظاهريًا، ثم سألتها:

– ماذا تقصدين بـ... في السيارة الأجرة التي ستوصلها إلى منزلها؟! ونهضت "**بربارا**" ووقفت خلف الأريكة، وانحنت على "**لوتشيا**" وقالت:

– لا يهم يا عمتي، "**لوتشيا**" تفهم، أليس كذلك يا عزيزتي؟ قالت هذا وهي تلاطف ذقن "**لوتشيا**" بأصابعها، وتلفتت هذه الأخيرة فزعة، ثم صارحت "**بربارا**" بالآتي:

– أنا آسفة، لقد كنت شاردة. ماذا كنت تقولين؟ وعادت "**كارولين آموري**" إلى الاهتمام بـ"**لوتشيا**"، وعادت إلى موضوع حالتها الصحية. قالت:

– أتعلمين يا بنتي العزيزة أني قلقة جداً بشأن صحتك وكل ما يهمك. ثم انتقلت نظراتها من "**لوتشيا**" إلى "**بربارا**":

– إن لم تشعري بتحسُّن يجب أن تتناولي شيئًا ما. يا "**بربارا**"، لنر ما الذي يمكننا أن نعطيها إياه؟ إن ما يفيدها بالتأكيد استنشاق بعض الأملاح. وأسفاه! لقد تذكرت أن "**إيلين**" – وصيفتي – كسرت الزجاجة صباح اليوم. عضَّت "**بربارا**" على شفتها وفكرت لحظة، وفجأة صاحت:

– أعلم... لوازم المستشفى.

– ماذا تقصدين بذلك؟ ومن أي مستشفى؟ هكذا استفسرت الآنسة "**آموري**" .
أتت "**بربارا**" وجلست بجوار عمتها:

– أتتذكرين لوازم "**إدنا**"؟ وفي الحال استنار وجه الآنسة "**آموري**"، وقالت:

– آه! لكن أين كان عقلي؟! والتفتت نحو "**لوتشيا**" لمنحها التفسير اللازم:

– كم كنت أود أن تتقابلي مع "**إدنا**" كبرى بنات أخي وأخت "**بربارا**"! لقد سافرت إلى "**الهند**" مع زوجها، ربما قبل وصولك إلى هنا مع "**ريتشارد**" بستة أشهر، إنها شابة لطيفة على غير العادة. أيدت ذلك "**بربارا**" بابتسامة عابرة، وقالت:

– لا يوجد مثلها اثنان، لقد أنجبت توأمًا، وكما حدث في "**الهند**"، عندما ظننت أنه لا يوجد ملفوف (كرنب) ولا كشمش (عنب الديب) لكي تلد التوأم، إنها أخذتهما من زهرة لوتس مزدوجة. حينئذ عجزت الآنسة "**آموري**" عن الامتناع عن الابتسام، وأردفت:

– اسكتي يا "**بربارا**". ثم التفتت نحو "**لوتشيا**" وواصلت:

– كما كنت أقول لك، هل كنت أجيد ذكره لك؟ "**إدنا**" حصلت على دراسة في العلاج في أثناء الحرب ولقد عملت هنا في مستشفانا. وكنا قد حولنا مقر العمدة إلى مركز علاجي. ولقد واصلت العمل كصيدلانية وكانت خبيرة في قسم الحبوب وأنواع الشراب في المستشفى حتى زواجها. لابد أن هذه المعلومات كانت ذات قيمة عالية في "**الهند**"، لكن أنا ابتعدت... أين أنا؟ آه حقًّا عندما رحلت، ماذا فعلنا بهذه المواد؟ قالت "**بربارا**" مؤكدة:

– أنا أتذكر جيداً. توجد كمية من الأدوية مأخوذة من حقيبة "**إدنا**" موجودة في صندوق. كان ينبغي إرسالها إلى المستشفيات، لكن الكل غفل عن ذلك أو على الأقل لم يقم أحد بالتنفيذ. لقد تم وضعها في المخزن ولم تظهر هذه الأدوية إلا عندما أعدت "**إدنا**" حقائبها للسفر. إنها هنا أعلى هذه المكتبة. قالت هذا وأشارت إلى المكتبة، ثم نهضت واخترقت الحجرة حاملة مقعدها. ووضعته أمام المكتبة وارتقته ورفعت ذراعها وتناولت الصندوق – وكان من الزنك. ودون أن

تنتبه للكلمات التي كانت "**لوتشيا**" تتمتمها:

– لا داعي يا عزيزتي، أؤكد لك أني لست محتاجة إلى شيء. أتت "**بربارا**" ووضعت الصندوق على المنضدة، وقالت:

– حسنًا، طالما أنزلناه فلنلق عليه نظرة. ثم رفعت الغطاء، وقالت:

– يا إلهي! إن بداخله ما يرضي جميع الأذواق. إن به صبغة يود، وصمغ "جاوة"، وزيت خروع وخلاف ذلك... وقطبت قبل أن تقول:

– آه! لقد وصلنا إلى أمور خطيرة. ثم أخرجت من الصندوق أنابيب صغيرة بلون بني وقرأت ما عليها:

– "أتروبين"، "مورفين"، "أستركنين"، خذي الحذر يا عمتي، إذا أزعجتني أوضايقتني سأضع لك السم في قهوتك، سأضع الـ "أستركنين" وبالتالي ستموتين بعد معاناتك أقصى أنواع العذاب والآلام. قالت هذا وهي تقوم بتصويب إصبعها إلى عمتها بحركة تهديد. وهذه الأخيرة أطلقت صيحة فزع، وأشارت إليها بأن تبتعد.

– على أي حال، لا يوجد هنا ما يمكننا إعطاؤه لـ "**لوتشيا**" لإنعاشها. هذا ما قالته الفتاة وهي تعيد القنينات وكل ما كان بالصندوق إلى داخله.

وفي الوقت الذي كانت ترفع فيه يدها اليمني بأنبوبة "مورفين" فتح "**تريدويل**" الباب ثم انتحى جانبا ليدخل كل من "**إدوارد رينور**" والدكتور "**كاريللي**" و"**كلود آموري**". أردفت وهي تواصل صف الأنابيب:

– آه يا سيد "**رينور**" هل تهتم بالسموم؟ فاقترب الدكتور "**كاريللي**" من المنضدة. كان الدكتور "**كاريللي**" وهو في الأربعين، أسمر يرتدي ملابس سهرة غاية في الأناقة، كما كانت حركاته رقيقة، وكان في حديثه لهجة إيطالية خفيفة:

– ما الذي يحدث هنا يا سيدتي العزيزة "**آموري**"؟ أما السيد "**كلود**" فتوقف لحظة عند الباب قبل أن يدخل لكي يتحدث إلى "**تريدويل**"، وسأل رئيس الخدم:

– هل فهمت تعليماتي جيداً؟ قال له رئيس الخدم:

– تمامًا يا سيد "**كلود**". وانصرف "**تريدويل**"، ولحق السيد "**كلود**" بضيفه. قال بأسلوب لائق:

– أرجو أن تعذرني يا دكتور "**كاريللي**" إذا توجهت مباشرة إلى مكتبي، لأن عندي خطابات لابد من إنهائها؛ إذ لابد من إرسالها مساء اليوم. فدمدم "**ريتشارد**" بضيق:

– أعتقد أنك حصلت على خبر بهذه الزيارة وأن لديك إعلانًا تقوم به بشأن أولئك المدعوين الذين سيصلون عندك؟ أجاب السيد "**كلود**":

– سأعود إليكم بعد قليل، بسرعة. ثم قال لـ "**رينور**":

– تعال معي يا "**رينور**"، من فضلك. ولحق السكرتير برئيسه في العمل ودخلا معًا إلى مكتب السيد "**كلود**". وفي اللحظة التي فيها أُغلق الباب عليهما، أطلقت "**بربارا**" فجأة صرخة وتركت الأنبوبة التي كانت تمسك بها.

الفصل الرابع

أسرع الدكتور "**كاريللي**" لأخذ الأنبوبة التي وقعت من يد "**بربارا**" على الأرض. وألقى إليها نظرة قبل أن يعيدها إلى "**بربارا**" مظهرًا مودة واحترامًا بانحناءة من رأسه، وصاح:

– ما الذي أراه؟ "مورفين"؟! ثم تناول أنبوبة زجاجية أُخرى من على المنضدة، وأردف:

– و"أستركنين"؟! هل بإمكاني يا آنستي أن أسألك من أين حصلت على هذه العينات المميتة؟ وأخذ يفحص محتوى الصندوق باهتمام خفي. أجابته بنبرة جافة وعلى شفتيها ابتسامة فاترة، ثم التفتت نحو عمتها، وواصلت بنبرة أكثر مودة:

– لم أتوقع العثور على الـ "أستركنين" ضمن هذه الأنابيب، ففوجئت؛ لذلك تركت هذه الأنبوبة تسقط من يدي. كم أنا غبية! وإذ قلقت الآنسة "**كارولين آموري**"، نهضت واقتربت من الدكتور "**كاريللي**"، وقالت:

– إذن، هذه الأنابيب الصغيرة ليست سمومًا، أليس كذلك يا دكتور؟ أقصد أنها لم تعد تسبب الضرر لأحد... أليس كذلك؟ إن هذا الصندوق موجود بالمنزل منذ

سنوات عديدة. إن هذه المواد لم تعد خطيرة، أليس كذلك؟

– إني أجهل يا سيدتي العزيزة ما تقصدين بكلمة (خطيرة)، لكنني أرى أنك تقدرين على قتل نحو اثني عشر شخصًا من أقوى الأقوياء بهذه المجموعة. وفي الحال صاحت الآنسة "**آموري**" فزعة:

– الرحمة يا رب! وتراجعت إلى أن وصلت إلى كرسيها وجلست عليه. أمسك الدكتور بأنبوبة وقرأ ما عليها:

– كلوريدات الـ "أستركنين" : 4000 جرام. سبعة أو ثمانية من هذه الأقراص وبعد قليل ستموتين موتة رهيبة، وهي وسيلة مؤلمة للغاية لمفارقة الحياة. ولا أوصي بها لأحد. ثم أمسك بأنبوبة أخرى، وتابع:

– كبريتات الـ "أتروبين" . آه! كم تصعب التفرقة بين التسمم بهذه المادة من الـ "تفسخين" . وهذا أيضًا يسبب موتًا مؤلمًا جدًّا. أعاد الأنبوبتين وتناول واحدة ثالثة، وواصل بصوت منخفض:

– لكن هنا لدينا "بروم هيدرات السكوبولامين" 65.5 ملجم. إنه يبدو آمنًا ظاهريًّا، أليس كذلك؟ ومع ذلك أؤكد لك أن ما عليك إلا ابتلاع نصف قرص من هذه الحبوب البيضاء الصغيرة لكي... قال هذا وهو يقوم بحركة معبرة..

– سيكون بلا ألم، بلا أي ألم، ولكن نعاس سريع يليه نوم بلا أحلام لكن المرء لا يستيقظ منه.

ثم اتجه إلى "**لوتشيا**" ومد لها يده بالأنبوبة كمن يدعوها إلى فحصها، وكانت ترتسم ابتسامة على شفتيه، ولكن ليس في عينيه. تفحصت "**لوتشيا**" هذا الشيء وكانه يعجبها. وتمتمت وكانها تحت تأثير مخدر ومدت يدها لتناوله:

– نعاس سريع، يليه نوم بلا أحلام.

وعوضًا عن أن يسلمها إليها، ألقى الدكتور "**كاريللي**" نظرة قد تكون استجوابية إلى "**كارولين آموري**" ، التي اقشعر بدنها وبدت مستاءة لكنها لم تعلق بأي شيء. من جانبه هز الدكتور "**كاريللي**" كتفيه وابتعد عن "**لوتشيا**" ، محتفظًا دائمًا بأنبوبة من "بروم هيدرات السكوبولامين" . في نفس اللحظة فتح باب القاعة ليدخل

منه "**ريتشارد آموري**" . دون أن ينطق بكلمة واحدة، اتجه نحو المائدة التي تستخدم كمكتب وجلس على مقعد دون أي مسند، وبعد قليل، تبعه "**تريدويل**" حاملاً صينية عليها إبريق قهوة وأقداح للقهوة بأطباقها. وضع رئيس الخدم كل ذلك على المنضدة المنخفضة وانصرف، وأقبلت "**لوتشيا**" وجلست على الأريكة لكي تقوم بمهمة الضيافة.

اقتربت كذلك "**بربارا**" وتناولت القدحين اللذين ملأتهما "**لوتشيا**" وقدمت واحداً لـ "**ريتشارد**" واحتفظت بالآخر لنفسها. كان الدكتور "**كاريللي**" في هذه الأثناء في وسط الحجرة يعيد الأنابيب إلى الصندوق المصنوع من الزنك، حينئذ أردفت الآنسة "**آموري**" وهي مقشعرّة:

– أتعلم يا دكتور أنك بسردك القصص عن النوم دون أحلام والوفيات الشنيعة أفزعتني؟ أعتقد أنك إيطالي وتعرف الكثير عن السموم؟ أجابها "**كاريللي**" ضاحكًا:

– أعتقد يا سيدتي العزيزة أن مثل هذه المعلومة معروفة. لماذا الإيطالي يعرف أكثر من الإنجليزي؟ ولقد سمعت أن السم سلاح أنثوي أكثر من أن يهتم به الذكور. إذن ينبغي أن أتوجه إليك بالكلام قبل أن أجيب. ربما أنك قصدت إيطالية. سيدة معينة، أليس كذلك يا سيدة "**بورجيا**"؟ تناول قدح قهوة قد ملأته "**لوتشيا**" وناوله للآنسة "**آموري**"، ثم أخذ واحداً آخر لنفسه.

– "**لوكريس بورجيا**" هذه المخلوقة البشعة؟! نعم، لقد كنت أفكر فيها (هكذا اعترفت "**كارولين آموري**") ليتك تعلم أني كنت أعاني الكوابيس بسببها في طفولتي. كنت أتخيلها شاحبة، لكن فارعة وجميلة بشعرها الأسود، تماماً مثل شعر عزيزتنا "**لوتشيا**".

اقترب الدكتور "**كاريللي**" بعد ذلك من الآنسة "**آموري**" لكي يقدم لها السكرية. هزت رأسها وأعادت السكرية إلى صينية القهوة. وضع "**ريتشارد آموري**" قدحه وتناول مجلة من على المكتب وبدأ يتصفحها في أثناء ما كانت الآنسة "**آموري**" تواصل الحديث عن "**لوكريس بورجيا**". هكذا كانت تقول:

– نعم كوابيس مفزعة. كنت أحلم بأني الطفلة الوحيدة في حجرة مليئة بالكبار يشربون كلهم في أكواب أنيقة جداً، ثم تقترب مني هذه السيدة التي تشبهك كثيراً يا عزيزتي "**لوتشيا**" وتجبرني على كأس. ومع ذلك كنت أستنتج من ابتسامتها أنه لا ينبغي أن أشرب، لكنني كنت أعلم أني لن أتمكن من الرفض. ودون أن أعرف السبب وتحت تأثير مخدرها كانت تجبرني على الشرب، وبالتالي أشعر بحرقان شديد بالحلق حتى أعجز عن التنفس. كان ذلك أمراً مخيفاً – لا شك في ذلك. وحينئذ كنت أستيقظ.

في هذه الأثناء كان الدكتور "**كاريللي**" قد اقترب من "**لوتشيا**" وإذ وقف قبالتها، انحنى بحركة تبجيل ساخر. قال متوسلاً:

– ليتك أيتها العزيزة "**لوكريس بورجيا**" ترأفي بنا كلنا نحن الحاضرين هنا!

لم يكن لمزاح "**كاريللي**" أية ردة فعل عند "**لوتشيا**". كانت جالسة عند طرف الأريكة جامدة، تنظر أمامها لكن لا يبدو – مع ذلك – أنها سمعته. ساد حينئذ صمت ممزوج بالضيق، ثم – مبتسماً لنفسه – تحول الطبيب عن "**لوتشيا**" وشرب قهوته، ثم وضع قدحه على المائدة المستديرة. ولقد بدا على "**بربارا**" وهي تبتلع قهوتها بسرعة أنها تحققت من أن ثمة تغييرا للجو – السائد في المكان – قد حدث. اقترحت وهي تقترب من الفونغراف:

– ليتنا نضع بعض الموسيقى. ترى ماذا سنسمع؟ آه! توجد أسطوانة رائعة كنت قد اشتريتها عندما كنت في المدينة، منذ فترة مضت. وهكذا بدأت تغني، وترافق خطواتها كلماتها بخطوة صغيرة على إيقاع موسيقى الـ "جاز":

– إنه جنون، إنه جنون، إنه جنون هكذا تُعتبر الطريقة التي ترقصين بها.. أو، ماذا عندنا بخلاف ذلك؟ ثم انضمت الآنسة "**اموري**" إلى "**بربارا**" للبحث عن أسطوانة أخرى متوسلة إليها قائلة:

– آه! يا "**بربارا**" يا عزيزتي، على أي حال، ليتنا نستمع إلى ما هو أفضل من ذلك، وعندنا الكثير مما هو أجمل، ليتنا ننتقل إلى الموسيقى الشعبية. لدينا منها أغانٍ لـ "**جون كورماك**". ما رأيكم في "**المدينة المقدسة**"؟ ولكنني لا اذكر اسم

الـ"**سبرانو**" ولماذا لا نختار هذه الأسطوانة الجميلة التي لـ "**ميليا**"؟ آه ها هو الـ"**رويد**" لـ "**هانديل**". اعترضت "**بربارا**" قائلة:

– ليس لحن "**هانديل**" هو الذي سيجعلنا نرى الحياة وردية. إذا كان الجميع متمسكين بالموسيقى الكلاسيكية فالأُبرا الإيطالية موجودة. هيا يا دكتور، إننا نتعدى على اختصاصاتك، تعال لكي تساعدنا على الاختيار. فلحق بها وبالآنسة "**آموري**" حول الفونوغراف، وبدؤوا يتفحصون عمود الأسطوانات، أما "**ريتشارد**" فكان حاليًّا يبدو منهمكًا في قراءة مجلته.

– نعم، الأُبرا تعتبر لونًا من الفن الإيطالي. ثم قال وهو مبتسم:

– قد يكون تقريبًا مثل السم. والآن لنر ما عندك هنا... إن "**فيردي**" هو ملحني المفضل؛ فهو أعظم إيطالي في القرن التاسع عشر، وأكبر وأعظم من رجال دولتنا وحتى رجال السياسة. إن أُبرا "**عايدة**" رائعة وهي أفضل ما أُنتج في رأيي، هل عندك شيء من أوبرا "**عايدة**"؟ على سبيل المثال، اللحن الذي تغنيه "**عايدة**" في بداية الفصل الثالث أو"باترياميا" على الشاطئ في ضوء القمر. وردد مقطعًا موسيقيًّا بصوت مقبول:

– "أوباترياميا، نون تي فيدرو ماي بيو!" تقول "**عايدة**": "لن أراك بعد الآن أبدًا يا وطني". إنها حقًّا موسيقى رائعة ومؤثرة ومحركة للمشاعر.

ثم عاد للغناء:

– "لا دونا إيه موبيلي، كوال بيما آل فينتو..." وهنا قاطعته "**بربارا**":

– كفى هذا المزمار! لا داعي إلى هذه الخدع التي للأشباح الغانية. ليتنا نعثر على ما يساعدنا على الرقص: مقطوعة "**شارليتون**" (نوع من الرقص الصاخب).

– إن من الممكن الرقص بسهولة على أنغام موسيقى "**ريجوليتو**" يا بنتي العزيزة، أؤكد ذلك. هذا ما صرَّح به "**كاريللي**" لـ"**بربارا**". وفي الفصل الأول من "**كويستا أو كيلا**" يعتبر مثالاً لما كان الأمريكيون يدعون "**سونيج**". فهو هكذا. وبدأ يدندن أنغام هذا اللحن، لكنه سكت وقد كاد يختنق من الضحك عندما رأى "**بربارا**" يديها على أذنيها وهي تمط شفتيها بحركة مضحكة.

وأثناء ما كانت هذه المحادثة تدور حول الفونغراف، نهضت "**لوتشيا**" واتجهت ظاهريًا بلا هدف نحو المنضدة التي في وسط الحجرة، وألقت نظرة على الصندوق المصنوع من الزنك، ثم - بعد أن تأكدت من أنه لا يوجد أحد يراها - أمسكت بأنبوبة زجاجية وقرأت ما هو مدون عليها "بروم هيدرات السكوبولامين"، ثم فتحتها وأفرغت الأنبوبة كلها تقريبًا في كفها وفي نفس اللحظة فُتح باب مكتب السيد "**كلود**" وخرج منه "**إدوارد رينور**" السكرتير الذي وقف لحظة ورآها وهي تعيد الأنبوبة إلى مكانها قبل أن تعود إلى المنضدة المنخفضة. في هذه اللحظة سُمع صوت السيد "**كلود**" صادراً عن المكتب. كانت الكلمات غير واضحة، غير مفهومة، لكن "**رينور**" التفت لكي يجيبه قائلاً:

- بالتأكيد يا سيدي، سأحضر لك قدح القهوة حالاً. وإذ كان متجهًا نحو المائدة المنخفضة، أوقفه صوت السيد "**كلود**":

- وخطاب "**مارشال**". بالمناسبة؟

- لقد أخذ مع بريد بعد الظهر يا سيدي.

- ولكن مع ذلك كنت قد قلت لك... عُد إلى هنا. هكذا قال السيد "**كلود**" مؤنبًا سكرتيره. تمتم السكرتير:

- أنا آسف.

أما "**لوتشيا**" التي كانت قد رفعت رأسها عند سماع صوت السكرتير، إنها على ما يبدو لم تلمح أن السكرتير لاحظ حركاتها. ثم التفتت جزئيًا حريصة على ألا يرى "**ريتشارد**" زوجها ما تفعله، أسقطت بعض الأقراص التي كانت بيدها في أحد أقداح القهوة الموجودة على المنضدة المنخفضة، بعد ذلك انتقلت أمام الأريكة، وإذا بنغم الـ "**فكستروت**" يصدر من الفونغراف و"**بربارا**" بدأت ترقص بخطوات سريعة، أما "**ريتشارد**" فوضع مجلته التي كان غارقًا في قراءتها، وارتشف قدح قهوة دفعة واحدة، ثم وضع القدح على المائدة التي في وسط الغرفة، ولحق بزوجته. قال لها:

- لقد قررت، سنسافر معًا. تمتمت بصوت خافت:

– هل أنت جاد يا "**ريتشارد**" ؟ إذن، سنرحل من هنا؟ لكنني أعتقد أنك كنت قد قلت... بالمناسبة من أين... من أين ستأتي بالنقود اللازمة؟ دمدم "**ريتشارد**" :

– بالنسبة إلى النقود، ليست وسائل الحصول عليها هي التي نحن مفتقرون إليها... وكان القلق باديًا على صوت "**لوتشيا**"... عندما قالت له:

– ماذا تقصد؟ أجابها زوجها:

– أقصد أنه عندما يكون الزوج متعلقًا بزوجته كما هو وضعي فهو يعمل أي شيء أتفهمينني؟ أجابته:

– إن أسلوبك هذا لا يعتبر مديحًا لي. إنما هذا يشير إلى أنك لا تثق بي أبدًا، وأنك تعتقد أنك مضطر إلى شراء حبي بـ.. توقفت وحوّلت رأسها عندما فُتح باب المكتب وعاد "**إدوارد رينور**". اتجه إلى المائدة المنخفضة وتناول قدح قهوة بينما كانت "**لوتشيا**" تغيّر من وضعها على الأريكة لكي تجلس على الطرف. وفي هذه الأثناء كان "**ريتشارد**" قد اتجه نحو المدفأة حيث كانت تبدو عيناه مثبتتين على الموقد الفارغ. نظرت "**بربارا**" التي كانت تواصل الرقص إلى ابن عمها متسائلة ما إذا كان ينبغي أن تدعوه إلى الرقص، وإذ رأته عبوسًا تحولت إلى "**رينور**" واقترحت عليه:

– فترة قليلة مع الـ "**فكستروت**" (اسم الرقصة) يا سيد "**رينور**"؟ أجابها السكرتير:

– بكل سرور يا آنسة "**آموري**"، لحظة واحدة بالضبط حتى أُعطي السيد "**كلود**" قهوته. حينئذ نهضت "**لوتشيا**" في الحال وأوقفته قائلة:

– يا سيد "**رينور**"، إنك لم تأخذ قهوة السيد "**كلود**"، لقد أخطأت عند تناول القدح. قال:

– آسف. وتناولت "**لوتشيا**" قدحًا آخر من على المنضدة المنخفضة وناولته إياه قائلة:

– خذ هذا.

وبابتسامة غامضة وضعت القدح الذي أعطاه لها "**رينور**" وعادت لكي تجلس. أدار السكرتير ظهره لها حاملاً قدح القهوة بحرص. اتجهت "**بربارا**" نحو باب المكتب، وقالت له بابتسامة مشجعة:

– من فضلك تعال وارقص معي يا سيد "**رينور**". كان من الممكن أن أرقص مع الدكتور "**كاريللي**" لكني أريد أن أجعله يشتاق إلى الرقص مع "**لوتشيا**". تردد "**رينور**" فاقترب "**ريتشارد آموري**"، ونصحه قائلاً:

– لا تستسلم لها كل الاستسلام، مع "**بربارا**" الكل في النهاية يفعل ذلك. أعطني هذه القهوة، سأقدمها لوالدي.

فسلمه "**رينور**" القدح قسراً. وقف "**ريتشارد**" جامداً لحظة، ثم دخل إلى مكتب والده. وكانت "**بربارا**" – بعد أن قلبت الأسطوانة – ترقص مع "**إدوارد رينور**" وهما متشابكا الأذرع. من جانبه وقف الدكتور "**كاريللي**" يرقبهما قبل أن يقترب من "**لوتشيا**" التي كانت تبدو مهزومة وكانت مازالت جالسة على طرف الأريكة. قال لها:

– إنها لمحة طيبة من قبل الآنسة "**آموري**" بأن تدعوني إلى البقاء وتناول العشاء. رفعت "**لوتشيا**" عينيها نحوه وظلت صامتة لبضع ثوانٍ، وأخيراً أجابته:

– إنها فعلاً امرأة محبة جداً. استطرد وهو يدور خلف الأريكة:

– والمنزل ممتع جداً. يجب أن أتفقده؛ لأني أهتم كثيراً وأسرّ بمشاهدتي فن العمارة المشيّدة به المنازل الخاصة في هذه الحقبة. وفي أثناء ذلك كان "**ريتشارد**" قد خرج من مكتب والده، ودون أن ينظر إلى زوجته واتجه الدكتور "**كاريللي**" إلى الصندوق المحتوي على المواد الكيميائية الدوائية الموضوع على المنضدة التي في الوسط وبدأ يرتب محتوياته. أجابت "**لوتشيا**" الدكتور "**كاريللي**":

– بإمكان الآنسة "**آموري**" موافاتك بما هو خاص بفن العمارة أكثر مني؛ لأني لست ملمّة البتة به. وعندما كانت "**بربارا**" ترقص مع "**إدوارد رينور**" والآنسة "**آموري**" تبدو ناعسة، أتى "**كاريللي**" وجلس بجوار "**لوتشيا**". همس لها:

– هل نفذت ما كنت أريده؟ قالت هامسة هي أيضاً بنبرة يأس:

– أنت لا تعرف الرحمة؟ ثم بدأت "**لوتشيا**" تتلعثم، وكانت قد نهضت واتجهت بخطى واسعة نحو باب القاعة. صاحت وهي تلتفت إلى الآخرين:

– يوجد شيء ما يوصد الباب. إني لا أستطيع الخروج.

– ما الذي حدث يا عزيزتي؟ هكذا استفسرت "**بربارا**" التي مازالت ترقص مع "**رينور**".

– إني لا أستطيع فتح الباب.

وفي الحال توقف كل من "**بربارا**" و"**رينور**" عن الرقص ولحقا بـ "**لوتشيا**"، وفي هذه الأثناء أوقف "**ريتشارد**" الفونغراف قبل أن يأتي هو أيضًا. وحاولوا هم الأربعة كل بدوره، لكن دون جدوى على مرأى من الآنسة "**آموري**" التي استيقظت ولكنها لم تنهض، والدكتور "**كاريللي**" الواقف بلا حركة بجوار المكتبة. ودون أن يلتفت إليه أحد، خرج السيد "**كلود**" ممسكًا بقدح القهوة بيده ووقف بضع ثوانٍ يتطلع إلى الفريق المجتمع أمام باب القاعة. وكان يبدو مخبولاً. صاح "**رينور**" بعد أن حاول فتح الباب أكثر من مرة:

– ها هو الشيء العجيب! وكأن شيئًا ما موضوع خلف الباب بإحكام وإذا بصوت السيد "**كلود**" يرتفع مدويًا، وجعل الجميع يلتفت:

– آه! لا، ليس كما تقولون. الباب مغلق بالمفتاح من الخارج. حينئذ نهضت أخته واقتربت منه وقبل أن تتكلم بادرها بقوله:

– الباب مغلق من الخارج بناء على أوامري يا "**كارولين**". تحولت جميع الأنظار إلى السيد "**كلود**" الذي اقترب من المنضدة المنخفضة، وتناول من السكرية قطعتي سكر ووضعهما في قهوته. وواصل "**كلود**":

– عندي شيء ما أقوله لجميعكم، ليتك تتكرم يا "**ريتشارد**" وتدق الجرس لاستدعاء "**تريدويل**". حاول ابنه أن يتكلم، وبعد لحظة صمت اتجه نحو المدفأة، وضغط على زر في الحائط، ثم واصل "**كلود**" مشيرًا إلى المقاعد:

– ليتكم تجلسون كلكم. من جانبه اخترق الدكتور "**كاريللي**" الحجرة وجلس على مقعد دون أي مسند وكان مقطب الحاجبين. وكل من "**إدوارد**" و"**لوتشيا**" أخذ مقعدًا بينما فضّل "**ريتشارد**" الوقوف بجوار المدفأة. وقد بدت عليه الدهشة والحيرة... أما "**كارولين آموري**" وابنة أخيها "**بربارا**"، فجلستا على الأريكة وبعد أن استقروا جميعهم، نقل السيد "**كلود**" مقعدًا ذا مسندين ووضعه أمام المائدة

المستديرة حيث يمكنه بسهولة مراقبة الجميع وجلس. سُمع بعد ذلك صوت مفتاح يُدار في قفل الباب وفُتح باب القاعة ليدخل منه "**تريدويل**". استفسر رئيس الخدم بعد الانحناءة التقليدية:

– هل طلبتني يا سيد "**كلود**"؟

– نعم يا "**تريدويل**"، هل اتصلت بالرقم الذي أشرت به إليك؟

– نعم يا سيدي.

– وهل حصلت على الرد المطلوب؟

– تمامًا يا سيدي.

– وهل ذهبت السيارة إلى المحطة؟

– أجل يا سيدي، ستكون في الميعاد.

– حسنًا الآن يمكنك إعادة غلق الباب. وبعد أن أُغلق الباب خلف "**تريدويل**" سمع صوت المفتاح مرة أخرى. حينئذ اعترضت الآنسة "**آموري**":

– "**كلود**"، ما هذا الذي يفعله هذا الـ"**تريدويل**"؟

– إنه يتصرف بناءً على تعليماتي يا "**كارولين**"، هكذا قاطعها بنبرة جافة. وتوجه "**ريتشارد**" بدوره إلى والده قائلاً له بلهجة فاترة:

– هل بإمكاني معرفة سبب كل ذلك؟ أجاب السيد "**كلود**":

– إنني متأهب لموافاتكم بالأمر. وأرجوكم أن تصغوا إليَّ بهدوء، كان ينبغي أن تكونوا قد تفهمتم ذلك. إن هذين البابين... قال هذا وأشار إلى البابين المفتوحين على القاعة.

– إن هذين البابين يغلقان من الخارج. إن مكتبي ليس له منفذ سوى اختراق هذه الحجرة. وباب النافذة مغلق.

– مغلقة – في الحقيقة – بنظام من اختراعي وأفراد الأسرة على علم بذلك وليس من بينهم من يعرف سر طريقة استخدامه. ودار حول مقعده وتوجه مرة أخرى إلى الكل، وقال:

– إن هذا المكان مصيدة فئران. تفحص ساعة يده:

– الساعة الآن التاسعة إلا عشر دقائق. بعد قليل سيدخل صياد الفئران. قال "**ريتشارد**" وقد امتزجت الحيرة ببداية ثورة:

– صياد فئران؟!

– أي صياد فئران؟! أجاب العالم بين الرضا والقهر وهو يبتلع رشفة قهوة:

– إنه مخبر شرطة سري.

الفصل الخامس

أثار إعلان السيد "**كلود**" الفزع العام: أطلقت "**لوتشيا**" صرخة صغيرة جذبت نظر زوجها، كما كادت الآنسة "**آموري**" تختنق من هذه البشاعة، و صاحت "**بربارا**":

– عجبًا!، ودمدم "**إدوارد رينور**":

– آه، حقًا يا سيد "**كلود**"! كان الدكتور "**كاريللي**" الوحيد الذي بدا غير متأثر كثيرًا بما سمع.

جلس السيد "**كلود**" على مقعده ممسكًا بقدح القهوة في يده اليمنى وطبق القدح في اليد اليسرى. فجاءت ملاحظته مرضية:

– يبدو أني قد حصلت على هدفي. وبعد أن شرب آخر رشفة، مطّ شفتيه مبديًا ضيقه وهو يضع القدح والطبق على المنضدة الوسطى.

– القهوة ذات مذاق مر أكثر من المعتاد هذا المساء. وإذا بأخته تشحب وأوشكت أن تفتح فمها للتعبير عما تفكر فيه، لكن "**ريتشارد**" سبقها. وسأل والده:

– أي مخبر سري؟! أجابه السيد "**كلود**":

– إنه يدعى "**هركيول بوارو**". إنه بلجيكي. حينئذ صاح الدكتور "**كاريللي**":

– لقد سمعت عنه الكثير، إن شهرته عالمية. وألحّ "**ريتشارد**" قائلاً:

– لكن، لماذا تطلب مخبرًا سريًا؟ ابتسم الوالد وهو يجيب:

– إن هذا سؤال جوهري. إنك تضع إصبعك على النقطة الأساسية. منذ فترة من

الزمن بدأت في بحث عن الذرة كما تعلمون كلكم. لقد اكتشفت قنبلة جديدة، ذات قدرة هائلة. لكن كلكم على علم بذلك... وصاح الدكتور "**كاريللي**":

– لكني لم أكن على علم بذلك. إني أهتم كثيراً بذلك.

– حقًّا يا "**كاريللي**"؟

كان السيد "**كلود**" قد منح هذه الكلمات العادية صبغة ذات مغزى حتى أن الإيطالي – وقد ارتبك – عاد إلى الجلوس، فتابع "**كلود**" قائلاً:

– كما كنت أقول إن قدرة الـ "**آموريت**" – كما سميتها – هائلة حتى أن بإمكاننا الآن قتل آلاف الأشخاص، نستطيع الآن نسف مئات آلاف الأشخاص. صاحت "**لوتشيا**" وقد اقشعر بدنها:

– يا للبشاعة! ابتسم السيد "**كلود**" وهو يقول لها:

– يا بنتي العزيزة، الحقيقة لم تكن بشعة قط، بل إنها ممتعة. سأله "**ريتشارد**":

– لكن، لماذا تقول لنا كل ذلك؟ حينئذ وضّح السيد "**كلود**":

– لأني – منذ فترة – عندي ما يدفعني إلى الاعتقاد أن أحد أفراد الأسرة كان يحاول سرقة النظرية، وكنت قد طلبت من السيد "**بوارو**" أن يأتي عندنا في عطلة نهاية الأسبوع؛ لكي يحملها معه إلى "**لندن**" يوم الاثنين، وأن يسلمها إلى شخص مسؤول رسميًّا في وزارة الدفاع سأذكره له. وإذا بـ "**كارولين آموري**" تقول:

– لكن هذا يا "**كلود**" غباء، وفيه جرح لمشاعرنا جميعًا. لا يمكنك جديًّا أن تشك في أن أحد أفراد الأسرة قد يريد... قاطعها أخوها:

– أنا لم أنته بعد يا "**كارولين**". بإمكاني أن أؤكد لك أن ليس فيما أقوله ما هو غبي أو غير محتمل. وأكرر أني دعوت "**هركيول بوارو**" للحضور عندنا غداً، لكن حدث ما دفعني إلى أن أطلب منه أن يأتي من "**لندن**" لأمر قهري هذا المساء، وإذا كنت قد قمت بهذا الشيء فهو لأن...

توقف السيد "**كلود**" عن الكلام برهة... وعندما عاد لمواصلة كلامه. راح يشمل جميع الحاضرين بنظراته بحركة دائرية، وتحدث ببطء أكثر وبهدوء وبصوت منخفض مانحًا كلماته نبرة جديدة، ثم واصل:

– ... هذا لأن الوصفة المكتوبة على ورق عادي والموضوعة في ظرف مستطيل،

سُرقت من الخزانة من مكتبي قبل العشاء بقليل من شخص مازال موجوداً في هذه الحجرة.

تعالت الصيحات وعبارات التعجب والتعليق بعد ما أعلنه هذا العالِم، ثم أخذ الجميع يتكلم في آن واحد. استفسرت الآنسة "**آموري**":

– هل أنت واثق يا "**كلود**" بأنها سُرقت؟ وصاح "**إدوارد رينور**":

– ماذا؟ في الخزانة؟ هذا مستحيل! ولم تتضمن هذه الغوغاء صوت الدكتور "**كاريللي**" الذي بدا ساهمًا، بل ظل جالسًا، في حين أن الآخرين لم يلتزموا الصمت إلا بعد أن ارتفع صوت "**كلود**" لكي يواصل كلامه. قال العالم مؤكداً لسامعيه:

– من عادتي أن أتأكد مما أقول، في السابعة والعشرين دقيقة بالضبط وضعت الوصفة في الخزانة، وعندما غادرت مكتبي ولج إليه "**رينور**" الحاضر هنا. فاعترض السكرتير وقد علت الحمرة وجهه من الضيق وقد يكون الغضب:

– حقًّا يا سيد "**كلود**"، لا يسعني إلا أن أعترض. فرفع "**كلود**" يده لكي يسكته، وقال:

– اسمحوا لي أن أواصل كلماتي. "**رينور**" دخل مكتبي وكان مازال فيه يواصل العمل، ثم ظهر الدكتور "**كاريللي**" عند الباب، وبعد أن قام "**رينور**" بتحيته تركه بمفرده في المكتب وخرج، لكي يخبرني بأن... تمتم "**كاريللي**":

– أعترض.. مرة أخرى رفع السيد "**كلود**" يده؛ لكي يجعل "**كاريللي**" يصمت ويتركه يواصل سرد الأحداث:

– ولم يبرح "**رينور**" عتبة الباب حيث التقى بأختي "**كارولين**" وبرفقتها "**بربارا**" والثلاثة مكثوا هنا والدكتور "**كاريللي**" لحق بهم. أما من لم يدخل ولا للحظة واحدة، فكانت "**كارولين**" و"**بربارا**". بعد أن ألقت "**بربارا**" نظرة إلى عمتها قالت للسيد "**كلود**":

– أخشى يا عمي من أن يكون في سردك هذا عن الدخول والخروج إلى مكتبك

بعض الثغرات الخطيرة، كما أني أجد نفسي موضع شبهة عندك. أتتذكرين يا عمة "**كارولين**"؟ لقد أرسلتني إلى مكتب عمي بحثًا عن إبرة تريكو لا تجدينها. تجاهل العالم مقاطعة ابنة أخيه له، وواصل:

– بعد ذلك كان دور "**ريتشارد**" في الوصول. كان قد حضر بمفرده، ومكث في المكتب بضع دقائق. حينئذ صاح الشاب الذي أصبح موضع شبهة:

– ليتك لا تتهمني يا والدي بسرقة وصفتك. أجاب السيد "**كلود**" وهو يتفحص ابنه:

– إن هذه الورقة ثمنها غالٍ جدًا. وجاء رد "**ريتشارد**" على كلمات والده:

– أعرف جيداً. أنا مدين بالكثير، أهذا ما ترمي إليه يا والدي؟ امتنع الوالد عن الرد، ثم واصل كلامه وهو مُلْقٍ على الآخرين نظرة دائرية:

– كنت أقول: إن "**ريتشارد**" مكث بضع دقائق في مكتبي. وعاد للظهور في هذه الحجرة في اللحظة نفسها التي ولجت فيها "**لوتشيا**" إليها، وعندما أُعلنت ساعة العشاء لم تتواجد "**لوتشيا**" بيننا. لقد وجدتها وقتئذ في مكتبي بجوار الخزانة. حينئذ صاح "**ريتشارد**" الذي اتجه نحو زوجته ووضع ذراعه حول كتفيها:

– والدي! لقد تجاوزت الحدود حقًا.

– أكرر لك. لقد وجدت "**لوتشيا**" واقفة بجوار الخزانة. كانت تبدو مرتبكة وعندما سألتها عما بها، أجابتني بأنها متعبة. اقترحت عليها أن تشرب كأس شراب. فأعلمتني بأن حالتها قد تحسنت وتركتني لكي تلحق بالآخرين. وبدلاً من أن أتبعها في الحال إلى حجرة الطعام، مكثت في مكتبي. وشعرت بحاسة دفعتني إلى النظر إلى الخزانة فتحتها واكتشفت أن الظرف المحتوي على الوصفة قد اختفى. ساد صمت بعد ذلك. ولم يفكر أحد الموجودين في النطق بكلمة واحدة. أخيراً، تكلم "**ريتشارد**" مستفسراً:

– كيف جمعت كل هذه المعلومات عن أحوالنا وحركاتنا يا والدي؟

– بفضل تفكيري العلمي بالتأكيد، وباستخدام عينيّ وباستجواب "**تريدويل**".

هنا أردفت "**كارولين آموري**" بعتاب:

– ألاحظ – بمرارة – أنه لا "**تريدويل**" ولا السيدة "**فارو**" الطاهية ولا عاملتنا النظافة ولا "**تومسون**" البستاني يمثلون بين المرتاب فيهم، إنما المقربون منك من هم أحباؤك هم المرتاب فيهم. قال شقيقها السيد "**كلود**":

– وأسرتي وكذلك ضيفنا. كان الوضع على هذا النحو يا "**كارولين**" إني حكمت بأن لا "**تريدويل**" ولا أي واحد من الخدم تواجد في مكتبي بين اللحظة التي وضعت فيها الورقة في الخزانة ولحظة فتحي هذه الخزانة واكتشاف اختفاء الظرف الثمين عندي. ثم نظر السيد "**كلود**" إليهم فرداً فرداً بدوره وهو يقول:

– إن ما أريده هو أن أرى موقف كل منكم واضحًا. ومن سرق الورقة، لابد أنها مازالت معه؛ لذلك حرصت على تدبير ما يساعد على عدم مغادرة أي فرد منكم هذا المكان.

بعد ذلك، ساد المكان صمت رهيب للحظات قطعه الدكتور "**كاريللي**" عندما تكلم مستفسراً من السيد "**كلود**":

– إذن، أنت تريد أن يتم تفتيشنا كلنا؟

– بعد قليل سيتم ما أريده – هكذا أجاب السيد "**كلود**" وهو ينظر إلى ساعة يده:

– بعد دقيقة واحدة سيصل "**هركيول بوارو**" وصديقه القائد "**هاستينجز**" إلى "**ماركيت كليف**" وهو الذي سيقوم بهذه المهمة، ولقد تلقى "**تريدويل**" تعليمات بقطع التيار الكهربائي وبعد دقيقة واحدة سيسود الظلام هذه الحجرة. لمدة دقيقة واحدة، دقيقة فقط. وعندما يعود التيار الكهربائي لن يصبح الأمر بين يديَّ، "**هركيول بوارو**" هو المكلف به، لكن إذا حدث في أثناء فترة الظلمة، أن وضعت الوصفة هنا... قال هذا وهو يضرب بكفه على المائدة، سأوافي "**بوارو**" بأني أخطأت وأني لست محتاجًا إلى خدماته. حينئذ أعلن "**ريتشارد**":

– إنه اقتراح فاضح. أرى أنه ينبغي أن يتم تفتيشنا كلنا. أنا على أي حال، مستعد لذلك. وقال "**رينور**":

– وأنا كذلك بالتأكيد حينئذ تفرس "**ريتشارد آموري**" في "**كاريللي**". وهذا

الإيطالي ابتسم وهز كتفيه وهو يقول:

– وأنا كذلك. ثم انتقل بنظره إلى عمته، التي قالت بدورها:

– آه! حسناً، مادام أنه لابد من المرور من هنا، كان بها. ثم التفت "**ريتشارد**" إلى زوجته، وقال:

– "**لوتشيا**"؟ وقد انقطعت أنفاسها أجابت هذه الأخيرة فوراً:

– لا، لا إن خطة والدك أفضل. تفرس فيها "**ريتشارد**" لحظة – بصمت – وكان جسمها متقلصاً. هنا قال السيد "**كلود**" مستفسراً:

– هيه يا "**ريتشارد**"؟ وجاء الزفير الذي أطلقه الزوج هو أولاً ردّه الوحيد. وأخيراً قال:

– حسناً جداً، أنا موافق. بعد ذلك، استشار ابنة عمه "**بربارا**" التي أجابته بإشارة الموافقة. بعد ذلك، ألقى السيد "**كلود**" بنفسه على ظهر مقعده. وبصوت مرتجف قال:

– مازلت أشعر بالمرارة في فمي من هذه القهوة. قال هذا وتثاءب ناعساً.

حينئذ بدأت ساعة المدفأة دقاتها. وكل من الحاضرين سمعها بصمت، صمت مطلق. والتفت السيد "**كلود**" ببطء في مقعده وثبّت نظره على ابنه "**ريتشارد**". وعند الدقة الأخيرة من الساعة التاسعة، أطفئت الأنوار والحجرة أصبحت في ظلام دامس.

سُمع بعد ذلك صوت تنهدات وصيحات مكتومة من السيدات، بعدها ارتفع صوت الآنسة "**آموري**":

– هل هذا يخبرني حقًّا بأن ليس هناك ما يجدي؟ أمرتها "**بربارا**" بالصمت:

– هس يا عمتي "**كارولين**". دعيني أصغي. ساد الصمت خلال ثوانٍ، تلاه تنفس ثقيل ومن بعده صوت أشبه بصوت قماش أو ورق. ثم ساد الصمت من جديد ومن بعده صوت معدني، ثم صوت ورق يُمزق ومقعد انقلب. صاحت "**لوتشيا**" في الحال:

– يا سيد "**كلود**"، يا سيد "**كلود**"! لم أعد أحتمل إنني أحتاج إلى ضوء. أتوسل إليك أعد التيار الكهربائي.

ساد الظلام الحجرة. وسُمع صوت قرع على الباب الذي يُفتح على القاعة.

صرخت "**لوتشيا**" ثانية. وكان استجابة لطلبها أُضيئت الأنوار من جديد. تواجد "**ريتشارد**" – حاليًا – بجوار الباب وقد بدا عاجزًا عن أخذ قرار ما إذ كان يجب عليه أن يحاول فتح الباب. كان "**إدوارد رينور**" واقفًا بجوار المقعد المقلوب و"**لوتشيا**" كانت ملقاة أقرب ما تكون في حالة إغماء على ظهر مقعدها.

أما السيد "**كلود**" فكان جامدًا في مقعده وعيناه مغلقتان. فجأة أشار "**رينور**" بإصبعه إلى المائدة الموجودة بجوار سيده. وصاح:

– انظروا، إنها الوصفة! لا شك أنها هي. كان على المائدة الظرف المستطيل كما وصفه السيد "**كلود**". حينئذ صاحت "**لوتشيا**":

– شكرًا وحمدًا لك يا إلهي.

سُمع قرع من جديد على الباب الذي فُتح ببطء، التفتت جميع الأنظار إليه بينما أدخل "**تريدويل**" شخصًا غريبًا قبل أن ينصرف. والتفت كل الحاضرين إلى الوافد الجديد. رأوا رجلاً قصير القامة ذا مظهر غير مألوف، قدم نفسه وهو ينحني:

– "**هركيول بوارو**" في خدمتكم، وهذا زميلي القائد "**هاستينجز**" الذي رغب في الحضور معي من "**لندن**" مساء اليوم.

– يا لها من مكتبة رائعة! هكذا جاء تعليق "**هاستينجز**" تقدم "**ريتشارد آموري**" للقائهما، قال وهو يصافح كلا منهما:

– السيد "**بوارو**" والقائد "**هاستينجز**". سأله "**بوارو**":

– السيد "**كلود**". آه! لا، إنك شاب، قد تكون ابنه؟ ثم مر أمام "**ريتشارد**" ووصل إلى المكتبة ومن خلفه "**هاستينجز**" الذي كرّر:

– يا لها من مكتبة رائعة يا سيد "**آموري**"! الوقت في هذه الفترة من السن...

حينئذ أمسك "**ريتشارد**" بذراع المخبر القصير القامة، وقال:

– أنا بالضبط "**ريتشارد آموري**" ابن السيد "**كلود**". آسف يا سيد "**بوارو**"، لكن أخشى أن نكون قد استدعيناكم بناءً على سوء تفاهم. إننا لم نعد نحتاج إليكما.

استفسر "**بوارو**" بلهجة ودية:

– حقًا؟

– نعم، إني آسف جدًا. كرر "**ريتشارد**":

– من المؤسف جداً أننا جعلناك تتحمل مشاق هذا الطريق من "**لندن**". ولاشك في أن كرامتك واحترامك لا يقدران بثمن بالإضافة إلى أن نفقات الانتقال ستكون... وبالتأكيد لن نتأخر عن سدادها. قال "**بوارو**":

– أدرك ذلك تماماً. حالياً ليست النفقات وكل ما وضعته في الاعتبار هو الذي يشغلني.

– لا! إذن... ماذا...؟

– الذي يشغلني يا سيد "**آموري**" سأخبرك به فيما بعد. إنه ليس سوى تفصيل بسيط جداً. بلا نتيجة، بالتأكيد، لكن والدك هو الذي دعاني إلى القيام بهذا الانتقال. والآن، لماذا ليس هو الذي يطلب مني أن أنصرف؟ التفت "**ريتشارد**" إلى السيد "**كلود**"، وقال:

– آه! بالتأكيد، أرجوك أن تعذرني. هل تسمح يا والدي بتقديم إيضاح إلى السيد "**بوارو**" لماذا لم نعد نحتاج إلى خدماته؟

فلم يجب السيد "**كلود**" ولم يتحرك، وكانت عيناه مغلقتين، وكان جامداً تماماً في مقعده. أسرع "**ريتشارد**" إليه وهو يصرخ:

– والدي! ثم انحنى عليه مثل المجنون.

– يا دكتور "**كاريللي**"، هل سيموت؟ انتصبت الآنسة "**آموري**" فوراً. وبسرعة البرق أسرع الدكتور "**كاريللي**" لقياس نبض السيد "**كلود**". قطب حاجبيه، ووضع يده على قلبه وتركها ثوانٍ، ثم رفع عينيه إلى "**ريتشارد آموري**"، هز الطبيب الإيطالي رأسه ببطء، ثم تمتم "**بوارو**" كمن يحدّث نفسه:

– نعم... نعم... أخشى أن... نعم، إني أخشى ذلك تماماً. حينئذ تقدمت "**بربارا**" وسألت السيد "**بوارو**":

– ماذا تخشى يا سيد "**بوارو**"؟ نظر إليها "**بوارو**" دون أن يرمش بعينيه وقال:

– أخشى من أن يكون السيد "**كلود**" قد استدعاني بعد فوات الأوان يا آنسة.

*****

الفصل السادس

إعلان "**هركيول بوارو**" أثار الذعر؛ لذلك انحنى الدكتور "**كاريللي**" على "**كلود**" وواصل فحصه قبل أن يقوم ويلتفت نحو الآخرين. وأعلن إلى السيد "**ريتشارد**" :

– آسف، لقد توفي والدك يا سيد "**ريتشارد**" . تفرّس هذا الأخير غير مصدق، وكأنه عجز عن تقبُّل هذا الخبر. قال أخيراً:

– يا إلهي!... ما الذي حدث؟ اعتداء؟ أم أزمة؟ أجاب "**كاريللي**" :

– أتوقع ذلك. اقتربت "**بربارا**" من عمتها لكي تهدئها؛ لأن الآنسة "**آموري**" كانت موشكة على الإغماء، أما "**إدوارد رينور**" – الذي لحق بالسيدتين – فقد ساعد "**بربارا**" على مساندتها، وهمس إليها:

– أتعشم أن يكون هذا الشخص طبيباً. تمتمت رداً عليه وهما يضعان "**آموري**" في مقعد ذي مسندين:

– نعم، لكنه إيطالي. سمع "بوارو" هذه المعلومة عن بُعد وضحك بصوت عالٍ، ثم قال:

– كما ترونني، أنا مخبر سري، لكني بلجيكي، غير أننا – نحن الأجانب – ياآنستي، نتمكن أحياناً من إيجاد الرد الجيد على الأسئلة التي توجهونها إلينا.

من جانبها حرصت "**بربارا**" على أن تُظهر أنها لم تتضايق. واستمرت هي و"**رينور**" في التحدث لبضع لحظات، لكن "**لوتشيا**" اقتربت حينئذ من "**بوارو**" وأمسكت بذراعه وقادته بعيداً عن الآخرين. تمالكت نفسها واستردت أنفاسها، وقالت له:

– لابد من بقائك يا سيد "**بوارو**"، لا تدعهم يصرفونك. تفحصها جيداً، ثم سألها:

– إنك تريدين أن أبقى؟ هل هذه هي رغبتك؟

– نعم، نعم، أجابت "**لوتشيا**" وهي تحول عينيها وقد بدا عليها القلق نحو السيد "**كلود**" الذي كان جالساً في مقعده. وقالت:

– إن كل ذلك يحتوي على عنصر غير طبيعي. لقد كان قلب حماي في أحسن حال. أؤكد لك ما أقوله يا سيد "**بوارو**" . اعمل على اكتشاف ما حدث.

أما الدكتور "**كاريللي**" و"**ريتشارد آموري**" فمكثا جامدين بالقرب من الجثة.نصح "**كاريللي**" السيد "**آموري**" قائلاً:

– أقترح عليك يا سيد "**آموري**" استدعاء طبيب والدك الخاص للضرورة، أعتقد أن له طبيبه الخاص؟ تحرك "**ريتشارد**" حينئذ بصعوبة قبل أن يجيب:

– ماذا؟ إيه، نعم... الدكتور "**جراهام**" ، "**كينيث جراهام**" القصير. عيادته بالمناسبة في القرية، إنه –كما يقولون – صديق عابر لابنة عمي، المعذرة، لا شأن بذلك في موضوعنا، أليس كذلك؟ ثم استدعى "**بربارا**" :

– هل عندك رقم تليفون "**كينيث جراهام**" يا "**بربارا**" ؟ أجابت:

– رقم 5 "**ماركيت كليف**" . قصد "**ريتشارد**" التليفون، ورفع السماعة وطلب الرقم. وبينما كان في انتظار المكالمة، تذكر "**إدوارد رينور**" وضعه ومسؤوليته كسكرتير، وسأله:

– هل عليّ استدعاء سيارة للسيد "**بوارو**" ؟ وقبل أن ينطق كانت "**لوتشيا**" قد أسرعت بالرد:

– السيد "**بوارو**" مضطر إلى أن يبقى بناء على طلبي. حينئذ التفت "**ريتشارد**" . وكان ممسكًا بسماعة التليفون – وقد فوجئ. سأل زوجته بنبرة جافة:

– كيف هذا؟ أجابت وفي صوتها نبرة تكاد أن تكون هستيرية:

– نعم، نعم يا "**ريتشارد**" . ينبغي أن يمكث.تطلعت الآنسة "**آموري**" بعينين تتردد فيهما الحيرة، أما "**بربارا**" و"**إدوارد رينور**" فقد تبادلا نظرات معبرة عن القلق. وأما الدكتور "**كاريللي**" فقد كان واقفًا يتطلع إلى جسد العالم الهامد. وكان يبدو ساهمًا مفكرًا، أما "**هاستينجز**" . فكان يتطلع وهو شارد أيضًا إلى أقسام المكتبة، ويتطلع إلى المحيطين به الواحد تلو الآخر. وإذ كان "**ريتشارد**" متأهبًا للرد على إعلان زوجته، إذا به يسمع صوت رنين التليفون. أسرع بالرد:

– مرحبًا... الدكتور "**كينيث جراهام**" ؟ "**ريتشارد آموري**" معك على الهاتف.

والدي. . . أصابته أزمة قلبية، هل تسمح وتتكرم بالحضور فوراً؟ في الحقيقة، أعتقد أنه لا أمل في الوصول إلى حل، لكن. . . نعم، إنه. . . لقد توفي. . . لا. . لا أنا واثق بأنه لا. . . إلى لقاء قريب. شكراً. وبعد أن وضع سماعة التليفون، اخترق الحجرة متجهاً إلى زوجته وهمس إليها بصوت منخفض ومضطرب:

– أنت مجنونة أم ماذا؟ ماذا تناولت؟ ألا تدركين أنه لابد لنا من التخلص فوراً من هذا المخبر السري؟ نهضت "**لوتشيا**" من مقعدها وهي مرتبكة وسألته:

– لكن لماذا؟ وواصلا تبادل الكلمات، وبعد أن تكلّما بصوت منخفض يحتوي على الضعف. وجه "**ريتشارد**" الكلام إلى زوجته معاتباً إياها:

– ألم تسمعي جملة الوالد؟ وكرّر الجملة، مانحاً كل كلمة معنى: "القهوة مرّة أكثر من المعتاد". في بداية الأمر، يبدو أن "**لوتشيا**" لم تفهم، ثم كرّرت:

– القهوة مرّة على خلاف المعتاد. نظرت إلى "**ريتشارد**" للحظة، ثم أطلقت صرخة سرعان ما كتمتها، همس إليها "**ريتشارد**":

– أفَهمت الآن؟ ثم همس إليها "**ريتشارد**":

– لقد مات مسموماً. وبداهة من أحد أفراد الأسرة، وأنت لا ترضين بمثل هذه الفضيحة، أليس كذلك؟

– يا إلهي! ارحمنا يا ألله. ثم التفت "**ريتشارد**" إلى "**بوارو**" واتجه نحوه، وبدأ يحدثه بتردد:

– يا سيد "**بوارو**". أجابه هذا الأخير:

– نعم يا سيدي؟ جمع "**ريتشارد**" كل شجاعته، وواصل:

– أعترف لك بأني لا أفهم لماذا طلبتك زوجتي؟ فكر "**بوارو**" لحظة قبل أن يجيب والابتسامة العريضة لم تفارقه:

– ليكن لسرقة وثيقة؟ وهذا وفقاً لما قالته الآنسة (وأشار إلى "**بربارا**")؛ ولذلك تم استدعائي إلى هنا. ثم أردف "**ريتشارد**" وهو مُلقٍ نظرة عتاب إلى "**بربارا**":

– الوثيقة المقصودة. . . أُعيدت. استفسر "**بوارو**" الذي لم تفارقه ابتسامته الغامضة:

– حقًّا؟ جذب هذا المخبر القصير انتباه الجميع، واتجه إلى المنضدة الوسطى ونظر إلى الظرف الذي ما زال موجوداً عليها. وقد غُفل عنه تمامًا بسبب الصدمة التي تسببت فيها وفاة السيد "**كلود**" وما تبعها من اضطراب عام. سأله "**ريتشارد**" :

– ماذا تقصد؟ كعادته برم "**بوارو**" شاربه ونفض عنه غباراً وهميًّا، وأجاب:

– ليست سوى فكرة التي تراودني... فكرة مجنونة. لا شك في ذلك. لقد حكى لي أحدهم – ذات يوم – قصة فكاهية مضحكة جدًّا: قصة الزجاجة الفارغة: كان الجميع قد أجمعوا على أنها مملوءة حتى حافة عنقها – والحال كذلك– بعد فحصها، تبين أنه لا يوجد شيء بداخلها. حينئذ صاح "**ريتشارد آموري**" :

– آسف، أنا لا أتابعك. أمسك "**بوارو**" الظرف الموجود على المنضدة، وقال:

– كنت أتساءل لا أكثر... أخذ "**ريتشارد**" الظرف من يديه ونظر بداخله، وصاح:

– إنه فارغ! كرمشه وألقى به على المنضدة وتفحص "**لوتشيا**" بنظرة ثاقبة، فتراجعت وواصل:

– حسنًا، أعتقد أنه ينبغي أن نفتش، وأن...

لم يكمل جملته، وألقى نظرة على من حوله كمن يطلب نصيحة. لم يقرأ في عيني "**بربارا**" وعمتها سوى الضيق، والخزي في عيني "**إدوارد رينور**". وعند الدكتور "**كاريللي**" قليلاً من السخرية، أما بالنسبة إلى "**لوتشيا**"، فكانت تتجنب دومًا نظرته. واقترح "**بوارو**" :

– لماذا أجدك غير متقبل هذا الرأي يا سيدي العزيز؟ وإذا كنت تصدقني في ذلك فحذار من اتخاذ قرارٍ عادل، ولا تعمل شيئًا حتى وصول الطبيب. ثم قال:

– أخبرني إلى أين يؤدي هذا الباب؟ أجاب "**ريتشارد**" :

– إلى مكتب والدي. وصل "**بوارو**" إلى عتبة الباب وألقى نظرة إلى الداخل، ثم التفت نحو الصالون وعلى ملامحه علامات الرضا. تمتم:

– بالتأكيد. ثم قال وهو متوجه إلى "**ريتشارد**" :

– حسنًا يا سيدي العزيز، أنا لا أرى أي داعٍ إلى احتجاز أحد. سمع بعد ذلك تنهد ارتياح عام. وكان أول من تحرك هو الدكتور **"كاريللي"**، ثم أردف **"بوارو"** يقول وهو ناظر إليه:

– مفهوم. أليس كذلك ألا يغادر أحد المنزل؟ فجاء رد **"ريتشارد"**:

– سأقوم بتنفيذ ذلك شخصيًّا. في هذه الأثناء كانت **"بربارا"** تتحدث مع **"رينور"**، يتبعهما **"كاريللي"**. من جانبها مكثت **"كارولين آموري"** بجوار مقعد أخيها. تمتمت محدثة ذاتها: "مسكين أيها العزيز **"كلود"**! مسكين أيها العزيز **"كلود"**". اقترب منها **"بوارو"** قائلاً:

– تشجعي يا آنستي وتذرعي بالصبر. أعلم تمامًا أن الصدمة قاسية بالنسبة إليك. رفعت الآنسة **"آموري"** عينيها الغارقتين في الدموع، وقالت:

– إن ما يعزيني أني كنت قد طلبت من الطاهية أن تعد لنا سمكًا مشويًّا للعشاء، وكان أحب الأطباق عنده. تمالك **"بوارو"** نفسه وواصل مواساته لها:

– بالتأكيد، بالتأكيد، لابد أن يكون ذلك معزيًا لك، أنا واثق بذلك.

رافق الآنسة **"آموري"** حتى الباب، وتبع **"ريتشارد"** عمته و**"لوتشيا"**، وبعد لحظة تردد انصرف بدوره. ولم يبق في المكتبة سوى **"بوارو"** و**"هاستينجز"** مع جثمان السيد **"كلود"**.

الفصل السابع

عندما خلت الحجرة من الناس أسرع **"هاستينجز"** وقد نفد صبره إلى **"بوارو"** وقال:

– ما رأيك في هذا الأمر؟

– أغلق الباب، أرجوك. هذا هو الرد الذي حصل عليه..

في أثناء ما كان صديقه ينفذ، تطلع **"بوارو"** حوله وهو يحك رأسه، ثم بدأ يتجول هنا وهناك متفحصًا المقعد المقلوب الذي كان السكرتير **"إدوارد رينور"**

جالساً عليه وقت إطفاء الأنوار. وأخذ من تحته شيئًا صغيراً. سأله "**هاستينجز**":

– ماذا وجدت؟ أجابه "**بوارو**":

– مفتاح يا صديقي. مفتاح، على ما يبدو أنه مفتاح خزانة. ولقد لاحظت أنه يوجد واحد مثله في مكتب السيد "**كلود**". ليتك يا "**هاستينجز**" تتكرم وتجرّبه وتخبرني ما إذا كان يفتح.

تناول "**هاستينجز**" المفتاح وولج إلى المكتب. في هذه الأثناء اقترب "**بوارو**" من جثمان العالِم وفتش في جيب بنطلونه وأخرج منه حلقة بها مفاتيح، وتفحص كل مفتاح من قرب. عاد "**هاستينجز**" وأكد أن المفتاح الآخر يفتح الخزانة. واصل "**هاستينجز**":

– أعتقد أني استنتجت ما حدث. إن يكون السيد "**كلود**" قد أسقطه و... ثم توقف، وقال "**بوارو**":

– لا لا، يا صاحبي ليس كذلك، أعطني المفتاح من فضلك. وإذ أخذ المفتاح الذي كان قد سلّمه إلى "**هاستينجز**" قارنه بأحد المفاتيح التي وجدها في الحلقة التي كان قد أخرجها من جيب السيد "**كلود**"، ثم أعاد المفاتيح إلى جيب المتوفى ولوّح بالمفتاح الذي عثر عليه، وتابع:

– هذا يا "**هاستينجز**" يا صاحبي، نسخة تمّ استخراجها بطريقة عشوائية بالتأكيد، لكنها أدت الغرض المطلوب. قال "**هاستينجز**" مدهوشًا:

– وهو ما يعني... توقف عن الكلام بناء على إشارة إنذار من "**بوارو**". صوت مفتاح يُدار في قفل الباب المؤدي من القاعة إلى طوابق المنزل العليا. وإذا بهما – "**بوارو**" و"**هاستينجز**" – يشاهدان الباب وهو يفتح ببطء شديد و"**تريدويل**" رئيس الخدم يظهر خلف الباب. قال وهو يدخل المكتبة ويغلق الباب خلفه:

– المعذرة يا سيدي، كان سيدي قد أمرني بغلق هذين المخرجين بإحكام لحين وصولك. سيدي... وتوقف عن الكلام عندما رأى جسد السيد "**كلود**" في المقعد. قال له "**بوارو**":

– سيدك توفي... أبإمكاني أن أسألك عن اسمك؟

– "**تريدويل**" يا سيدي. اتجه رئيس الخدم إلى أمام المكتب دون أن يبعد نظره عن الجثمان، وتمتم:

– يا إلهي! مسكين يا سيد "**كلود**". ثم التفت إلى "**بوارو**":

– المعذرة يا سيدي. الصدمة قاسية بالنسبة إليّ. أبإمكاني سؤالك عمّا إذا كان سبب الوفاة... اغتيالاً؟

– لماذا هذا السؤال؟ تمتم رئيس الخدم:

– لأن أموراً عجيبة تمت مساء اليوم. تبادل "**بوارو**" النظرات مع "**هاستينجز**"، وقال:

– آه! ليتك تحدثني عن هذه الأمور العجيبة. أجاب "**تريدويل**":

– لست أدري من أين أبدأ... أعتقد أن ثمة إحساساً عجيباً بدأ يلحق بي عندما حضر السيد الإيطالي لتناول الشاي.

– السيد الإيطالي؟!

– الدكتور "**كاريللي**".

– هل حضر لتناول الشاي بطريقة غير متوقعة؟

– نعم يا سيدي، وعندما رأت الآنسة "**آموري**" أنه متعاطف مع السيدة زوجة السيد "**ريتشارد**" طلبت منه أن يمكث لتناول العشاء معهم. لكن إذا رغبت في سماع رأيي... توقف. لكن "**بوارو**" شجعه على التحدث بصوت منخفض:

– نعم.

– أرجو أن تتفهم يا سيدي أني لم أعتد التحدث عن أسرار الأسرة، لكن مادام سيدي قد توفي.. توقف من جديد، وشجعه "**بوارو**" على مواصلة حديثه:

– نعم، نعم، أنا أدرك ذلك جيداً، وإني واثق بأنك متعلق به كثيراً. حك "**تريدويل**" رأسه وواصل "**بوارو**":

– لقد استدعاني السيد "**كلود**" بهدف اكتشافي سرًّا. ومن واجبك أن توافيني بكل ما يأتي إلى ذهنك. أجابه "**تريدويل**":

– إذن سأتكلم بحسب رأيي،كانت السيدة "**لوتشيا**" غير موافقة على دعوة هذا

الإيطالي على العشاء... لقد لاحظت وجهه عندما دعته الآنسة "**آموري**". سأله "**بوارو**":

– ما رأيك الشخصي في الدكتور "**كاريللي**"؟ أجابه "**تريدويل**" بشموخ:

– الدكتور "**كاريللي**" ليس من ذوينا. ولما لم يفهم "**بوارو**" – جيداً – ملحوظة رئيس الخدم، ألقى "**بوارو**" نظرة استجواب إلى "**هاستينجز**" الذي حول وجهه عنه لإخفاء ابتسامة، وبعد أن ألقى إلى صديقه إشارة بتقطيب حاجبيه، عاد "**بوارو**" إلى رئيس الخدم، وواصل حديثه معه. سأله:

– هل كان دخول الدكتور "**كاريللي**" بالأمر الشاذ في نظرك؟

– بالتأكيد يا سيدي؛ لأن هذا الشخص لم تكن زيارته مألوفة، كما أن المتاعب بدأت تظهر بعد دخوله. أولاً: إن سيدي طلب مني أن أرسل من يأتي بك من المحطة، ثم أن أحكم غلق الأبواب، ومع ذلك، توترت السيدة "**لوتشيا**" طوال الفترة المسائية، والتي اضطرت إلى ترك المائدة وقت العشاء ،كذلك السيد "**ريتشارد**" عانى القلق بشدة. وهنا قال "**بوارو**":

– آه! اضطرت إلى ترك مائدة العشاء؟ وهل أتت إلى هنا؟ أجاب "**تريدويل**":

– نعم يا سيدي. فكان أن نظر"**بوارو**"حوله، فوقع بصره على حقيبة السيدة "**لوتشيا**" التي كانت قد تركتها على المنضدة. قال:

– إحدى السيدات لم تأخذ حقيبتها. لم يتردد "**تريدويل**" في الاقتراب وتحديد لمن هذه الحقيبة، وقال:

– إنها حقيبة السيدة "**لوتشيا**" يا سيدي. وأيّد "**هاستينجز**" كلامه بقوله:

– نعم، لقد رأيتها وهي تضعها هنا قبل خروجها. استفسر "**بوارو**":

– قبل أن تخرج بالضبط هيه؟ شيء عجيب!وضع الحقيبة على الأريكة، وقطب حاجبيه ومكث جامداً، تائهاً في أفكاره، وبعد لحظة صمت استطرد "**تريدويل**":

– بمناسبة إحكام غلق الأبواب، كان سيدي قد حدّد لي أن... أفاق "**بوارو**" فجأة من غفلته وقاطع رئيس الخدم قائلاً:

– نعم، نعم، مهم جداً أن توضح لي كل ذلك بالتفصيل. ثم أشار إلى الباب

المؤدي إلى مدخل المنزل، واقترح قائلاً:

– لكن لننصرف من هنا. اتجه "**تريدويل**" ومن بعده "**بوارو**" بينما كان "**هاستينجز**" يعلق بنبرة مهمة:

– أعتقد أنه ينبغي أن أمكث قليلاً هنا. التفت "**بوارو**" ونظر إليه وقد بدا حائرًا، ثم قال:

– لا، لا، تعال أرجوك. قال "**هاستينجز**":

– لكن ألا تعتقد أنه من المحتمل أكثر... قاطعه "**بوارو**" وبنبرة تحمل معانيٍ خفية:

– إني لا أستطيع التخلي عن معاونتك لي يا صديقي العزيز.

– آه، حسنًا بالتأكيد، في هذه الحالة...وهكذا غادر الرجال الثلاثة الحجرة معًا، وأغلقوا الباب خلفهم.

وبعد ثوانٍ، فُتح الباب المؤدي إلى الدهليز بحرص شديد ودخلت منه "**لوتشيا**" على أطراف أصابع قدميها، ثم بعد إلقاء نظرة خاطفة على الحجرة للتأكد من خلوّها من أي شخص آخر، اقتربت من المنضدة المستديرة الموجودة وسط الغرفة، وأمسكت بقدح القهوة الخاص بالسيد "**كلود**"، وكان شعاع مكر يبدو في عينيها. وبينما "**لوتشيا**" لا تزال واقفة في الحجرة ممسكة بقدح القهوة، مترددة كيف ستتصرف، إذا بالباب يُفتح و"**بوارو**" يظهر على عتبته. قال:

– اسمحي لي يا سيدتي. فانتفضت "**لوتشيا**"، ثم انقض "**بوارو**"مسرعًا على القدح الذي بيدها، ومن جانبها قالت وهي في قمة الارتباك:

– لقد عدت... عدت لكي... لكي آخذ حقيبتي. قال "**بوارو**":

– بالتأكيد. انتظري يا سيدتي. هل رأيت حقيبة سيدة؟ آه! نعم، هناك. واتجه نحو الأريكة وأخذ الحقيبة وناولها إياها. قالت وهي تلقي نظرة ارتباك حولها:

– شكرًا جزيلاً.

– عفوًا يا سيدتي.

وغادرت "**لوتشيا**" المكان بعد أن ألقت إلى "**بوارو**" ابتسامة عصبية وعندما

انصرفت، وقف هذا الأخير جامداً للحظة، ثم أخذ القدح ثانية. وبعد أن شمّه بحرص، أخرج من جيبه أنبوبة اختبار ووضع فيها بعض النقط من القهوة المتبقية في القدح وأحكم غلقها، ثم بعد أن وضعها في جيبه، مسح الحجرة بنظره وأحصى بصوت عالٍ عدد الأقداح:

– واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة. نعم، أقداح قهوة.

بدأ الشك يبدو على وجه "**بوارو**" مصحوبًا بالحيرة، لكن سرعان ما وافته فكرة عمل فوراً على تنفيذها. أسرع نحو الباب الذي كان قد دخل منه وفتحه، ثم أغلقه بشدة بحيث يصدر صوتًا، ثم اتجه إلى باب النافذة واختفى خلف الستائر. وبعد لحظات، فُتح الباب المؤدي إلى الدهليز ثانية لتدخل منه "**لوتشيا**" بكل حرص، ومع حرصها على مراقبة البابين تناولت القدح الذي كان السيد "**كلود**" قد شرب منه وتفحصت الحجرة جيداً. توقف نظرها بجوار باب القاعة على المنضدة الصغيرة التي كان عليها وعاء يحتوي على نبات أخضر. اقتربت منه وألقت فيه القدح مقلوبًا، وهي تراقب دائمًا المكان، تناولت واحداً من الأقداح الأخرى ووضعته بجوار جثمان السيد "**كلود**"، وبعد ذلك، توجهت إلى الباب وفي اللحظة التي وصلت إليه فيها فتح الباب ودخل "**ريتشارد**" زوجها ومعه رجل في الثلاثين من عمره، فارعًا، شعره أشقر ووجهه يدل على ما له من سلطة، وكان بيد هذا الشخص حقيبة طبيب.

صاح "**ريتشارد**" وقد فوجئ:

– "**لوتشيا**"؟ ماذا تفعلين هنا؟

– حضرت... حضرت لكي آخذ حقيبتي. صباح الخير يا دكتور "**جراهام**". المعذرة.

ومرّت أمامهما وأسرعت بالخروج.. وأثناء ما كان "**ريتشارد**" ينظر إليها وهي تبتعد، خرج "**بوارو**" من خلف الستائر واقترب من الرجلين وكأنه أتى من الباب الآخر. حينئذ صاح "**ريتشارد آموري**":

– آه، ها هو السيد "**بوارو**"، اسمح لي بأن أقدم لك السيد "**بوارو**" ها هو الدكتور "**جراهام**"... "**كينيث جراهام**". تبادل الرجلان التحية بإحناء رأسيهما.

وفي الحال، تقدم "**جراهام**" من جثمان السيد "**كلود**" لفحصه و"**ريتشارد**" ينظر إليه باهتمام، أما "**هركيول بوارو**" - الذي لم يعيراه أية التفاتة - فقد تجول في الحجرة وأعاد إحصاء الأقداح.

- واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ما هذا؟

وفي الحال، بدا شعاع سرور على وجهه، وبابتسامته الغامضة المألوفة أخرج الأنبوبة من جيبه، وتأملها ثم هز رأسه ببطء. وفي أثناء ذلك، كان الدكتور "**جراهام**" قد انتهى من فحص المتوفى، وقال لـ "**ريتشارد**":

- آسف، لن أستطيع تحرير شهادة وفاة. السيد "**كلود**" كان في كامل صحته، وإصابته بأزمة قلبية فجائية أمر غير محتمل. ويلزمنا تحديد ما أكله وما شربه خلال ساعات حياته الأخيرة. استفسر "**ريتشارد**" والقلق بادٍ في صوته:

- هل هذا ضروري يا دكتور؟ إنه لم يتناول شيئًا خلاف ما تناولناه كلنا. وقد يكون هذا الاقتراح غير محتمل... قاطعه "**جراهام**" بصوت آمر:

- أنا لا أقترح. أنا أخبرك بأنه يحتاج إلى تحقيق قانوني، وأنه لابد من معرفة سبب وفاة السيد "**كلود**". حاليًّا أنا لا أعرفه، إذن لابد من أن أنقل جثمان والدك، وأطلب تشريح الجثة للضرورة صباح غد في ساعة مبكرة، وآمل أن أعود في اليوم نفسه ومعي عناصر لا تحتمل أي شك.

ثم غادر الحجرة وبرفقته "**ريتشارد**" الذي استمر معترضًا. نظر "**بوارو**" إليهما وهما يبتعدان ثم ازداد شكّه عندما التفت إلى جسد الرجل الذي كان قد استدعاه من "**لندن**". ووقف يردّد:

- ماذا كنت تريد أن تقول لي يا صاحبي؟ إني أتساءل. ما الذي كنت تخشاه؟ هل هي فقط سرقة وصفتك العلمية، أم أنك كنت تخشى شيئًا أيضًا بالنسبة إلى صحتك؟ لقد كنت معتمداً على "**هركيول بوارو**" لكي يأتي لمعاونتك. لقد طلبته بعد فوات الأوان، لكنه على الرغم من ذلك سيحاول اكتشاف الحقيقة. ثم هز "**بوارو**" رأسه وهو يواصل التفكير، وعندما همّ بمغادرة الحجرة إذا بـ "**تريدويل**" يظهر على عتبة الباب قائلاً:

– لقد أرشدت السيد الذي يرافقك إلى حجرته. أمن الممكن أن أصطحبك أنت كذلك لأريك حجرتك؟ إنها مجاورة لحجرته، أعلى السلم، ولقد أعددت لكما عشاء باردًا خفيفًا بعد الرحلة التي قمتما بها. وقبل ارتقائك السلم، سأريك حجرة الطعام. حنى "**بوارو**" رأسه بمودة علامة الموافقة:

– شكرًا جزيلاً يا "**تريدويل**". بالمناسبة سأنصح السيد "**آموري**" بالاحتفاظ بهذه الحجرة مغلقة بإحكام إلى أن نحصل على معلومات أوفر عن أحداث هذا المساء المؤثرة... ليتك تراقبها فور خروجنا منها.

– سأنفذ ذلك، إذا كانت هذه رغبتك يا سيدي. هكذا أجاب "**تريدويل**" عندما كان "**بوارو**" يتقدمه خارج المكتبة.

الفصل الثامن

بعد قضاء ليلة في نوم عميق ومستقر، تواجد "**هاستينجز**" بمفرده في حجرة الطعام، عندما نزل لتناول إفطاره في ساعة متأخرة من الصباح. علم من "**تريدويل**"، أن "**إدوارد رينور**" كان قد تناوله في ساعة مبكرة وأنه عاد إلى حجرة المكتب لترتيب بعض أوراق السيد "**كلود**"، وأن السيد والسيدة "**آموري**" تناولاه في حجرتهما ولم يظهرا بعد، أما "**بربارا آموري**" فكانت قد حملت قدح قهوة وذهبت إلى الحديقة ومازالت هناك؛ لأنها معتادة البقاء في شمس الصباح لفترة طويلة من أجل الاسمرار، كما أن "**كارولين آموري**" – إذ كانت تعاني صداعًا بسيطًا – فقد حملت قدحها إلى غرفتها ولم تعد للظهور حتى الآن. سأله "**هاستينجز**":

– والسيد "**بوارو**" يا "**تريدويل**"، هل لمحته صباح اليوم؟ أجابه أن صديقه استيقظ مبكرًا وأنه كان قد قرر التوجه إلى القرية سيرًا على قدميه وأضاف:

– ظننت أن السيد "**بوارو**" عنده عمل هناك. وبعد أن تناول "**هاستينجز**" إفطارًا مكونًا من "توست" و"سوسيس" وبيض وقهوة، عاد إلى حجرته المطلة على الحديقة

وفي خلال بضع دقائق اعتبرها متعة شاهد فيها "**بربارا**" التي كانت تعرض جسمها لأشعة الشمس. وعندما عادت إلى المنزل كان "**هاستينجز**" قد جلس في مقعده وبيده الجريدة الصباحية "**التايمز**" التي لا شك في أنها الطبعة الأولى حيث أُعلن خبر وفاة السيد "**كلود آموري**" الذي أُخبرت به الجريدة ليلة أمس.

فتح الجريدة على الصفحة الافتتاحية واندمج في القراءة، ثم بعد نصف ساعة، استيقظ إثر غفلة خفيفة وإذا به يكتشف أن "**بوارو**" واقف بجواره. صاح هذا الأخير ضاحكًا:

– آه، يا عزيزي إنك تتعب كثيراً لنا على ما أرى! فقال "**هاستينجز**":

– في الواقع، كنت أفكر منذ لحظة في أحداث الليلة الماضية، ونعست. فطمأنه "**بوارو**" قائلاً:

– ولِمَ لا يا عزيزي، فكرت كثيراً وبعمق في أحداث وفاة السيد "**كلود**"، وكذلك في اكتشاف ورقة الوصفة العلمية أيضا، وهأنا بدأت العمل، وبالتالي، أنتظر مكالمة تليفونية بين دقيقة وأخرى تخبرني بأني مصيب في شكّي. سأله حينئذ "**هاستينجز**" باهتمام:

– ماذا ومن؟ نظر "**بوارو**" إلى الخارج من النافذة قبل أن يجيبه، وأخيراً قرر:

– لا، لا أعتقد أنه ينبغي أن أكشف لك عن الأمر خاصة في هذه اللحظة من العمل يا صديقي العزيز. لتضع في الاعتبار الآن أن خفة اليد كفيلة بأن تغلب العين اليقظة الساهرة. قال "**هاستينجز**":

– بصراحة يا "**بوارو**"، إن ما يدهش أنك تجيد أحيانًا التظاهر بأنك متضايق أو يائس. إني أرى أنه كان بإمكانك على الأقل أن تخبرني بالشخص الذي تشك فيه بالنسبة إلى سرقة الورقة. على أي حال، قد يكون بوسعي أن أعاونك في...

أوقفه "**بوارو**" عن الكلام بإشارة من يده. وكان المخبر القصير القامة في هذه اللحظة يبدو ساذجًا وكان ينظر من النافذة متأملاً، ثم سأل "**هاستينجز**":

– هل أنت حائر؟ هل أنت مدهوش؛ لأني لا أسعى إلى ملاحقة الشخص المشتبه فيه؟ أجابه القائد معترفًا:

– فعلاً... تقريبًا. وأردف "**بوارو**" :

– أنا لا أشك في أنك لو كنت مكاني لتصرفت هكذا كما تقول. أنا أدرك ذلك جيدًا، لكنني لست من أولئك الذين يجرون في كل اتجاه بحثًا عن إبرة في كومة قش، كما تقولون أيها الإنجليز. وإني حاليًا مكتفٍ بالانتظار... ولماذا أنتظر؟ حسنًا؛ لأن بعض الأمور تبدو غامضة أمام ذكاء "**هركيول بوارو**" في حين أنها ليست هكذا لأولئك الذين يفتقرون إلى أكبر القدرات. وقال "**هاستينجز**" ثائرًا:

– أؤكد لك يا "**بوارو**" إني قد أكون مستعدًا لدفع مبلغ ضخم من المال لكي أقابلك – ولو لمرة – لكي أعمل على كسر كبريائك؛ لأنك واثق بنفسك أكثر مما ينبغي. أجابه "**بوارو**" بنبرة مهدئة:

– لا تثر يا "**هاستينجز**" يا صديقي العزيز، في الحقيقة هناك لحظات أشعر في خلالها بأنك تبدو وكأنك تكرهني. وأسفاه! إنها فدية المجد والعظمة. ثم انتفخ الرجل القصير وأطلق زفيرًا مضحكًا جدًّا إلى الحد الذي جعل "**هاستينجز**" لم يقدر على الامتناع عن الضحك.

– "**بوارو**"، لم يسبق لي مقابلة أو مشاهدة شخص واثق ومعتز بنفسه على هذا النحو. قال "**بوارو**" :

– ماذا تريد عندما يكون الشخص فريدًا من نوعه؟ في النهاية يُعْرَف. والآن لنعد إلى مهمتنا يا صديقي المحبوب "**هاستينجز**" ودعني أصارحك بأني طلبت من ابن السيد "**كلود**"، السيد "**ريتشارد**" أن يلحق بنا في المكتبة ظهرًا. أقول بنا يا"**هاستينجز**"؛ لأني أحتاج إليك يا صديقي الوفي. ليتك تتواجد لمراقبة الأمور عن قرب! أجاب "**هاستينجز**" لكي يطمئنه:

– يسعدني يا "**بوارو**" أن أعاونك كالمعتاد.

*****

في تمام الساعة الثانية عشرة ظهرًا، تواجد كل من "**بوارو**" و"**هاستينجز**" و"**ريتشارد آموري**" في المكتبة حيث كان جثمان السيد "**كلود**" قد رفع منها في

الليلة الماضية. وفي الوقت الذي كان "**هاستينجز**" يقوم فيه بدور المراقبة الذي كُلِّفَ به جالسًا في أريكة وثيرة، كان المخبر "**بوارو**" يطالب "**ريتشارد آموري**" بسرد الأحداث السابقة لوصوله بالتفصيل. ثم بعد أن أنهى "**ريتشارد**" قصته، وكان جالسًا على المقعد الذي كان والده جالسًا عليه في الليلة الماضية، أضاف:

– والآن لقد سردت – تقريبًا – كل شيء على ما أعتقد لعلّي كنت واضحًا. أجابه "**بوارو**" وكان مستندًا إلى أحد مسندي المقعد الوحيد الموجود بالحجرة.

– تمامًا يا سيد "**آموري**" تمامًا. لقد منحتني صورة واضحة جدًّا. ثم أغمض عينيه، وحاول أن يتخيل المشهد الذي هو موضوع القضية.

– كان السيد "**كلود**" جالسًا هنا مسيطرًا على الموقف، وكان الظلام يسود المكان، وأخيرًا، قُرِع الباب. نعم، إنه مشهد مأسوي. ثم أضاف "**ريتشارد**" متظاهرًا بأنه ينهض:

– والآن، إذا كان ذلك هو كل... فقاطعه "**بوارو**" بإشارة من يده:

– دقيقة واحدة، ليس سواها من فضلك. وعاد "**ريتشارد**" إلى الجلوس. وسأله:

– ماذا أيضًا؟

– وفي المساء في ساعة مبكرة يا سيد "**آموري**"؟

– في ساعة مبكرة من المساء؟ أكد "**بوارو**" ذلك قائلاً:

– نعم، بعد العشاء مباشرة. قال "**ريتشارد**":

– حقًّا ليس هناك ما يقال بعد في هذا الأمر، كان والدي وسكرتيره "**إدوارد رينور**" قد ذهبا إلى المكتب. والباقون – جميعهم – مكثوا هنا. حينئذ شجّع "**بوارو**" "**ريتشارد**" بابتسامة:

– وماذا فعلتم؟

– ثرثرنا معًا ليس إلا. كان الفونغراف يعمل طوال هذه الفترة. مرة أخرى غرق "**بوارو**" في أفكاره، وأخيرًا سأله:

– ألم يحدث ما هو جدير بالذكر؟ أجاب "**ريتشارد**" في التو:

– بتاتًا. وواصل "**بوارو**":

– ومتى قُدمت القهوة؟ أجابه "**ريتشارد**":

– بعد العشاء مباشرة. وبحركة دائرية بيده، استفسر "**بوارو**":

– هل رئيس الخدم هو الذي قام بتوزيع الأقداح، أم أنه اكتفى بوضع الأقداح وإبريق القهوة على المنضدة، تاركًا للفتاة القيام بدور الضيافة كربّة المنزل؟ قال "**ريتشارد**":

– أنا لا أتذكر حقًّا. فأطلق "**بوارو**" زفيرًا خفيفًا. ثم بعد لحظة تفكير، عاد إلى أسئلته:

– وهل شربتم منها كلكم؟

– أعتقد نعم، عدا "**رينور**"؛ لأنه لا يشربها أبدًا.

– وهل قهوة السيد "**كلود**" قُدمت له في مكتبه؟ أجاب "**ريتشارد**" وقد اهتز صوته:

– أعتقد... لكن هل هذه التفاصيل مهمة حقًّا؟ حينئذ رفع "**بوارو**" ذراعيه كعلامة للاعتذار.

– آه، اسمح لي بأن أواصل؛ لأنني أحتاج إلى تصوير المشهد في ذهني، كما أننا متمسكون بإعادة أو بتحديد سبب اختفاء هذه الورقة الثمينة، أليس كذلك؟ ومرة أخرى أجاب "**ريتشارد**":

– أعتقد.. فجأة قطب "**بوارو**" حاجبيه وأطلق صيحة دهشة، فأسرع "**ريتشارد**" بتصحيح ما قاله:

– نعم، بالتأكيد لابد لنا من العمل على تحديد الوضع. ثم جاء سؤال "**بوارو**":

– متى خرج السيد "**كلود**" من مكتبه؟

– في اللحظة التي كانوا يحاولون فيها فتح الباب. هكذا أجابه "**آموري**". استفسر "**بوارو**" مركزًا:

– كانوا "هم"؟ من؟

– نعم، "**رينور**" والدكتور "**كاريللي**".

– إن بإمكاني معرفة من كان يتمنى أن يُفتح الباب؟

– زوجتي "**لوتشيا**". لقد كانت متعبة طوال الليل. قال "**بوارو**" بلهجة تعبّر عن كل ما في الدنيا من شفقة:

– المسكينة! أتعشم أن تكون حالتها قد تحسنت صباح اليوم. والآن أحتاج إلى إلقاء الضوء على نقطتين بخصوصها.

– أخشى أن يكون ذلك مستحيلاً. إنها في حالة لا تسمح باستقبال أحد أو بالإجابة عن أسئلة. على أي حال، ليس لديها ما يمكن قوله غير ما أخبرتك به. قال "**بوارو**":

– حسنًا، غاية ما في الأمر إن للسيدات قوة ملاحظة تخصهن هن فقط، لكن لا شك في أن بإمكان عمتك الآنسة "**آموري**" القيام بنفس المهمة. أسرع "**ريتشارد**" بالرد:

– إنها ملازمة الفراش، إن وفاة والدي فوق احتمالها. تمتم "**بوارو**" ساهمًا:

– نعم، أرى ذلك. ثم ساد صمت، ثم – وقد بدا مزاجه منحرفًا – التفت "**ريتشارد**" نحو باب النافذة، وأعلن:

– الجو حار هنا، لندخل بعض الهواء. ابتسم "**بوارو**" وهو يقول:

– آه، إنك مثل كل الإنجليز. إنكم لا تتركون الهواء الرطب خارجًا؛ لأنكم تُدخلونه – أيها البريطانيون – إلى المنزل.

– أرجو ألا يسبب لك ذلك ضرراً.

– أنا، بالتأكيد لا، لقد اكتسبت كل العادات الإنجليزية. وأينما أكون يظنون أني مواطن أصيل... لكن المعذرة يا سيد "**آموري**"، أليست هذه النافذة مغلقة بنظام للإحكام فريد من نوعه؟ أجابه "**ريتشارد**":

– في الواقع... لكن المفتاح موجود ضمن مجموعة والدي التي معي هنا. ثم أخرج حلقة المفاتيح من جيبه، واتجه نحو باب النافذة وفتحه. بعد ذلك، جلس "**بوارو**" على المقعد الخالي من أي مسند، بعيداً عن النافذة وعن تيار الهواء الرطب، وبعد قليل، شعر بقشعريرة في حين أن "**ريتشارد**" كان يتنفس بعمق. كان ينظر

إلى الحديقة ساهمًا قبل أن يعود إلى "بوارو" وعلى ملامحه علامة من اتخاذ قرار، ثم أردف "**ريتشارد آموري**" :

– يا سيد "**بوارو**"، إني أعلم أن زوجتي توسلت إليك أمس للبقاء، لكنها – إذ كانت في حالة انهيار عصبي قوية – كانت بالكاد تعرف ما تفعله. وهأنا أخبرك بأني أنا من يعتبر معنيًّا بهذا الحوار، وأخبرك بكل صراحة بأني أسخر من أمر الوصفة العلمية. والدي كان رجلاً غنيًّا. وكان من المفترض أن اكتشافه الجديد سوف يعود عليه بمال وفير؛ عليه وعلى أسرته إلا أني لست محتاجًا إلى ما يزيد على ماعندي، كما أنني لا أشاركه حماسه بشأن المتفجرات؛ لأن في العالم منها ما يفوق الحاجة. تمتم "**بوارو**" ساهمًا:

– أرى هذا جيداً. وواصل "**ريتشارد**" :

– الأمر الذي أقصده من ذلك هو أن علينا أن نهمل هذا الموضوع بأقصى سرعة. حينئذ قطب "**بوارو**" حاجبيه من الدهشة. وهو يقول:

– والآن، هل تفضل أن أنصرف؟ وأن أكف عن أسئلتي وبحثي هذا؟ أجاب "**ريتشارد**" وهو يشعر بالضيق:

– نعم، بالضبط.

– لكن – أردف المخبر مواصلاً عمله – إن من سرق هذا الاكتشاف لم يقم بذلك لكيلا يستخدمه. أجاب "**ريتشارد**" معترفًا:

– لا. كان هذا الأخير قد أدار وجهه عن "**بوارو**" ثم التفت إليه من جديد:

– لكن هذا لا يمنع مع ذلك أن... أردف "**بوارو**" :

– بذلك، أنت تقبل الفضيحة؟ صاح "**ريتشارد**" :

– الفضيحة؟ فوضّح له "**بوارو**" الموقف قائلاً:

– خمسة أفراد كانت لهم إمكانية سرقة الاكتشاف. وحتى تتم معرفة الجاني لن يتبرأ الأربعة الآخرون. كان "**تريدويل**" قد دخل إلى الحجرة أثناء حديث "**بوارو**"، قال "**ريتشارد**" متوترًا:

– أنا... يعني أن... حتى قاطعه رئيس الخدم. قال لسيده الجديد:

– المعذرة يا سيدي، الدكتور "**جراهام**" موجود هنا ويريد أن يتحدث معك. بدا "**ريتشارد**" منشرحاً لهذه الفرصة التي ستخلصه من الاستجواب. أجابه:

– ساصل حالاً. اتجه الشاب نحو الباب، ثم التفت إلى "**بوارو**":

– المعذرة يا سيدي. انسحب "**ريتشارد**" مع "**تريدويل**" وما إن انصرف الرجلان حتى أسرع "**هاستينجز**" ناهضاً من على الأريكة إلى "**بوارو**"، وخاطبه قائلاً:

– الآن ستوافيني بالكثير عن ذلك السم، هيه؟ سأله "**بوارو**":

– كيف ذلك يا عزيزي "**هاستينجز**"؟ كرر القائد وهو يحك رأسه بشدة:

– السم أو أني لست خبيراً.

الفصل التاسع

بعد أن وقف "**بوارو**" يتطلع إلى صديقه وفي عينيه شعاع مرح، قال له:

– كم أنت مسرحي يا صديقي! بأي سرعة تنتقل إلى ختام الأمور؟ أجابه "**هاستينجز**" معترضاً:

– هيًا يا "**بوارو**"، لا تنسحب مرة أخرى محاولاً إقناعي بأن الرجل العجوز مات بأزمة قلبية. إن ما حدث بالأمس يبدو مكشوفًا، لكن لا ينبغي أن يكون "**ريتشارد آموري**" ماكرًا. على ما يبدو أن فكرة السم لم تخطر على باله.

– تعتقد أنه لا، يا صديقي؟

– لقد لاحظت ذلك مساء أمس، عندما أعلن الدكتور "**جراهام**" أنه لا يستطيع تحرير شهادة وفاة وأنه لابد من حصوله على نتيجة تشريح الجثة. حينئذ أطلق "**بوارو**" زفيراً خفيفًا، وقال:

– نعم، نعم، وهي نتيجة التشريح التي سيحضرها الدكتور "**جراهام**" صباح اليوم. إذن، سنعرف خلال دقائق ما إذا كنت على صواب أم لا. بدا على "**بوارو**" أنه يرغب في إضافة شيء ما، لكنه امتنع. واتجه نحو المدفأة، أمسك بزهرية موضوعة عليها، ثم وقف ينسق بعض الأوراق المستخدمة في إشعال المدفأة،

الموجودة داخل هذه الزهرية. وبعد قليل، سأل "**هاستينجز**" "**بوارو**" متوسلاً:

– هيا، ليتك تخبرني فقط بما حصلت عليه من نتائج لهذه المهمة وفقًا لما لك من آفاق واسعة. قبل أن يجيبه توجه "**بوارو**" إلى الأريكة وجلس عليها، ثم تفرّس في "**هاستينجز**"، وقال له:

– ليتك أنت أيضًا تستخدم كل قدراتك الذهنية وتحاول احتواء الموضوع من كل جوانبه؛ كي أحاول أنا نفسي القيام بذلك، وبذلك ربما يقودك ذلك إلى النتيجة ياصاحبي. والآن قبل وصول الدكتور "**جراهام**" كلّي آذان مصغية إلى القائد العزيز "**هاستينجز**". أجاب القائد خافضًا رأسه:

– اسمعني، هذا المفتاح الذي وجد تحت كرسي السكرتير يُعتبر موقفًا مبهمًا غريبًا.

– أتعتقد ذلك حقًّا يا "**هاستينجز**"؟ أجابه هذا الأخير:

– لا شك في ذلك، و.. بلا مقدمات.. سأخبرك في الحال، إني أقصد الإيطالي. قال "**بوارو**":

– آه! دكتور "**كاريللي**" العجيب... قال "**هاستينجز**" مؤيدًا:

– كلمة "عجيب" تعتبر الكلمة المناسبة له، بل وأكثر. ماذا يفعل هذا الشخص هنا في هذه البقعة من الريف؟ سأخبرك أنا بذلك. إنه يسعى إلى الحصول على بحث السيد "**كلود**". وتقريبًا قد يكون هذا الشخص موفدًا من قبل حكومة أجنبية. أرأيت ما يفهم من وراء ذلك؟ أجابه "**بوارو**" مؤيدًا وعلى شفتيه ابتسامة عابرة:

– بالتأكيد أرى ذلك. يحدث لي أحيانًا أن أذهب إلى السينما. أتعلم ذلك؟ فقال "**هاستينجز**":

– وإذا كان فعلاً السيد "**كلود**" قد مات مسمومًا؟ إذا ثبت ذلك فعلاً فأول شخص يُشتبه فيه يكون "**كاريللي**". أتتذكر آل "**بورجيا**"؟ السم هو الأسلوب الأول للاغتيال على الطريقة الإيطالية فأكثر ما أخشاه هو أن يتم ذلك مع الحصول على اكتشاف السيد "**كلود**" في الوقت نفسه. قال "**بوارو**":

– ليس بهذه السهولة يا صاحبي العزيز، لكن أيمكنك التأكد من ذلك؟ تعمق "**بوارو**" في مقعده وشبّك أطراف يديه بحركة مألوفة لديه، وقال "**بوارو**" :

– لا أعرف بالضبط، إني لا أستطيع – بالتأكيد – أن أعتبر نفسي واثقًا بذلك مائة بالمائة، ومع ذلك عندي فكرتي عن هذا الموضوع. سأله "**هاستينجز**" :

– ماذا تقصد؟ فقال "**بوارو**" :

– أين تعتقد إذن أن تكون حاليًّا هذه الوصفة العلمية أنت تعتبر من أبرز العاملين في هذا المجال وأكثرهم استنارة؟ فقال "**هاستينجز**" :

– كيف يمكنني معرفة ذلك؟ ثم ترك "**بوارو**" "**هاستينجز**" لحظة كمن يمنحه وقتًا لدراسة الموضوع، وقال مشجعًا إياه:

– فكّر يا صاحبي. ورتب أفكارك، وكن منطقيًّا؛ لأن في ذلك مفتاح حل اللغز. عندما رأى "**بوارو**" "**هاستينجز**" يهز رأسه مرتبكًا، حاول أن يمنحه خيطًا قائلاً:

– لا يوجد سوى مكان واحد. سأله "**هاستينجز**" وقد استبد به الضيق:

– أين؟ أجابه "**بوارو**" وعلى وجهه ابتسامة شخص مكتشف:

– هذه الحجرة بالتأكيد.

– هذه الحجرة؟!

– نعم يا "**هاستينجز**"، ليتك تضع كل تفاصيل الأحداث في الاعتبار. إننا نعلم من "**تريدويل**" أن السيد "**كلود**" كان قد اتخذ كل الاحتياطات الممكنة حتى لا تتسرب هذه الوصفة العلمية من هنا، ولا شك في أن السارق قد استولى عليها عندما تم إعلان وصولنا.. إذن فهو حل من اثنين: إما أن يعيدها بالطريقة التي يقترحها السيد "**كلود**"، أو أن يخفيها منتهزاً لحظة إطفاء الأنوار... وطالما لم ينفذ الحل الأول فهو إذن اتبع الحل الثاني، وبالتالي بالنسبة إليَّ أرى بداهة أن الورقة مخفيّة في مكان ما في هذه الحجرة. صاح "**هاستينجز**" متحمسًا:

– أشعر بأنك على حق يا "**بوارو**"، هيًّا بنا نبحث عنها. وفي الحال ترك مقعده وأسرع إلى المكتب. ابتسم "**بوارو**"، وقال له:

– اسعَ، لكن هناك من بوسعه العثور على الورقة بسهولة أكثر منك.

– من هو إذن؟ برم "**بوارو**" شاربه، وأردف:

– عجبي، الشخص الذي أخفاها يا عزيزي.

– تقصد أن... قال "**بوازو**" موضحًا ومظهرًا طول الأناة:

– أقصد إن عاجلاً أو آجلاً سيحاول هذا اللص أن يسترد ما سلبه. إذن على كلينا أن نكون يقظين ومراقبين بدقة و... توقف عن الكلام عندما سُمع الباب يُفتح بحرص وأشار إلى "**هاستينجز**" أن يلحق به بجوار الفونوغراف بعيداً عن مرأى من يدخل الحجرة.

الفصل العاشر

عندما فُتح مصراع الباب دخلت "**بربارا**" بحذر، وتناولت مقعداً ووضعته أمام المكتبة، وارتقته ومدت يدها لكي تأخذ الصندوق المصنوع من الزنك، المحتوي على المواد الكيميائية والدوائية، وفي هذه اللحظة – بالتحديد – لم يتمكن "**هاستينجز**" من كتم العطس وانتفضت "**بربارا**" وتركت ما بيدها، وصاحت – إذ عجزت عن معرفة أين تختفي – محدّثة نفسها: "آه! لم أتوقع وجود أحد". فأسرع "**هاستينجز**" بالتقاط الصندوق الذي تحفّظ عليه "**بوارو**" بسلطته، وقال المخبر:

– اسمحي لي يا آنسة، أنا واثق بأن هذا الصندوق ثقيل بالنسبة إليك. ثم وضع الصندوق على المنضدة، وسألها:

– ترى هل يحتوي هذا الصندوق على أشياء تقومين بجمعها؟ بيض عصافير؟ أو ربما بعض القواقع؟ أجابته "**بربارا**" وهي تضحك بعصبية:

– لا يا سيد "**بوارو**" إنها أشياء أتفه من ذلك بكثير لا تتعدى بعض الحبوب والمساحيق الطبية. قال "**بوارو**":

– لا يُعقل أن تكون فتاة تتمتع بوافر الصحة والحيوية مثلك محتاجة إلى هذا النوع من الخدع. قالت مؤكدة:

– ليست لي، إنها لـ "**لوتشيا**"، إنها تعاني صداعًا شديدًا جدًا. تأثر "**بوارو**"،

وقال وفي نبرته مشاعر التأثر:

– المسكينة! إذن هي التي طلبت منك إحضار هذا الصندوق؟ أجابت "**بربارا**" :

– نعم، لقد أعطيتها قرصي أسبيرين، لكنها تريد ما هو أقوى وأسرع؛ لذلك وعدتها بأن أحضر لها الصندوق بما فيه، إن لم يوجد أحد في المكان بالتأكيد.

– إن لم يوجد أحد في المكان.. كرّر "**بوارو**" ذلك ساهمًا وممسكًا الصندوق بيديه ومقدّرًا وزنه، وتابع:

– إن تواجد أحد ما أو لم يتواجد، أي أهمية لذلك يا آنستي؟ قالت "**بربارا**" :

– إنك تعلم ما يوجد في منزل مثل هذا، أن أتجسس عليك وأتدخل فيما لا يعنيني وأتسبب لك في المشاكل من لا شيء. على سبيل المثال، العمة "**كارولين**" لا تكف عن الدمدمة في كل الأركان، أشبه بدجاجة حاضنة لا تكف عن مناداة صغارها التي ابتعدت عنها...*أما بالنسبة إلى "**ريتشارد**"، فهو متعب بقدر ما هو غير نافع. وحك "**بوارو**" رأسه وعلى محيّاه مظاهر الاقتناع، ثم قال لـ "**بربارا**" وكأنه موافق على ما توضحه:

– إني متفهم، إني متفهم. ثم مرّ بأصابعه على غطاء الصندوق المحتوي على المواد الكيميائية والدوائية، ثم نظر في الحال إلى يديه، ومكث على هذا النحو لحظة، ثم تنحنح؛ إذ شعر بأنه تضايق، وواصل:

– أتعلمين يا آنستي العزيزة، إنك محظوظة بخدمك؟ سألته "**بربارا**" :

– ماذا تقصد سيادتك؟ فأشار لها إلى الصندوق الزنك. وقال:

– انظري بنفسك، لا وجود لذرّة غبار، أن يتحمل الخادم مشقّة الصعود على مقعد لكي ينفض عنه الغبار، ليس بين كل الخدم من يعمل هكذا بإخلاص. قالت:

– إنها حقيقة، لقد دُهشت لذلك مساء أمس عندما وجدته خاليًا من الغبار.

– هل أنزلت هذا الصندوق المحتوي على الأدوية مساء أمس؟

– نعم، بعد العشاء. إن به كمًّا من بقايا المستشفيات القديمة. حينئذ اقترح "**بوارو**" وهو يفتح الصندوق:

– لنر ذلك. ثم أخرج بعض الأنابيب، ورفعها إلى مستوى عينيه ورفع حاجبيه بحركة مسرحية:

– "أستركنين"، "أتروبين"... مجموعة صغيرة جميلة، بل وها هي حتى أنبوبة الـ"سكوبولامين"، لكنها تكاد أن تكون فارغة! فصاحت "**بربارا**":

– ماذا؟ لقد كانت كل الأنابيب مليئة مساء أمس. إني واثقة بذلك. وقال "**بوارو**" مشيراً إلى الأنبوبة قبل أن يعيدها إلى الصندوق:

– انظري بنفسك. شيء عجيب، تقولين إن كل هذه الأنابيب والقنينات كانت مليئة؟ وأين كان هذا الصندوق بالتحديد مساء أمس يا آنسة؟

– بعد أن أنزلناه، وضعناه على هذه المنضدة. وكان الدكتور "**كاريللي**" قد فحص المحتويات معلقًا عليها، و... توقفت عن الكلام؛ لأن "**لوتشيا**" دخلت إلى الحجرة. دهشت زوجة "**ريتشارد آموري**" عندما رأت الرجلين. ولقد بدت في ضوء النهار وعلى وجهها علامات الهموم، وكان الحزن واضحًا على شفتيها. أسرعت "**بربارا**" إلى لقائها:

– آه يا عزيزتي، ما كان ينبغي لك أن تنهضي. كنت سأصعد إليك. أجابتها "**لوتشيا**" وهي تنظر إلى "**بوارو**":

– لقد تحسنت حالة الصداع كثيراً يا "**بربارا**"، لقد نزلت؛ لأنني أريد أن أتحدث مع السيد "**بوارو**".

– لكن، ألا تعتقدين أنه كان يجب عليك أن...

– من فضلك يا "**بربارا**".

– حسنًا، كما تريدين. أجابتها "**بربارا**" وهي متجهة إلى الباب الذي أسرع "**هاستينجز**" وفتحه لها. كانت "**لوتشيا**" تتكلم بصوت مضطرب ومرتجف بعض الشيء:

– يا سيد "**بوارو**"، لقد طلبت منك أن تمد فترة إقامتك هنا، بل لقد توسلت إليك حتى تنفّذ رغبتي هذه... لقد تحققت صباح اليوم من أني ارتكبت خطأ. سألها "**بوارو**" بهدوء:

– هل أنت واثقة بذلك؟

– نعم، لقد قضيت الليلة الماضية متألمة وأشكرك على تلبيتك طلبي، لكن من

الأفضل أن تنصرف الآن. تمتم "**بوارو**" كمن يحدث نفسه: "آه هكذا". قبل أن يجيب عليها:

– أدرك ذلك يا سيدتي. نهضت "**لوتشيا**" ملقية إليه نظرة قلقة قبل أن تستفسر:

– إذن إنها عملية مرتّبة، أليس كذلك؟ تقدم "**بوارو**" نحوها بخطوة وقال:

– ليس بالضبط يا سيدتي، ألا تتذكرين أي شيء؟ لقد سبق لك أن عبرت لي عن شكوكك بالنسبة إلى وفاة والد زوجك.

– لقد كنت مساء أمس موشكة على الإصابة بالهستيريا، وكنت لا أدري ماأقوله. سألها "**بوارو**":

– إذن أنت حاليًّا مقتنعة بأن وفاته كانت طبيعية؟ أقرّت "**لوتشيا**":

– بالتأكيد، حتمًا. قطب "**بوارو**" حاجبيه وتفرّس في وجه هذه السيدة بصمت. سألته "**لوتشيا**":

– لماذا تنظر إليّ هكذا؟ أجاب "**بوارو**":

– يا سيدتي، يحدث أحيانًا أن يكون من الصعب وضع كلب للحراسة على الطريق الممهد، وأكثر من ذلك أن يجعله يتركه بعد أن يشم الرائحة؛ لذلك فالأمر يحتاج إلى كلب جيد. والحال هذا يا سيدتي، أنا "**هركيول بوارو**"، أنا هو الكلب الجيد المتميز. اشتدت حالة التوتر التي تعانيها "**لوتشيا**" وهي تقول:

– أرجوك أتوسل إليك، ينبغي أن تنصرف، أستحلفك بالله، لا تعلم أي ضرر ستتسبب فيه ببقائك هنا.

– أسبب ضرراً لك يا سيدتي؟

– لجميعنا يا سيد "**بوارو**". لا يمكنني أن أفصح لك بأكثر من ذلك، لكني أرجوك أن تثق بكلامي. لقد وثقت بك من أول نظرة. إذن أتوسل إليك.. ثم توقفت فجأة. لقد فتح الباب ليدخل منه "**ريتشارد**" وبصحبته الدكتور "**جراهام**". عندما لمحها زوجها صاح:

– "**لوتشيا**"! صاحت فزعة:

– ما الأمر يا "**ريتشارد**".. ما الذي حدث؟ ما الذي حدث؟ هل من جديد؟ إني أشعر بذلك، إني أستنتج من وجهك. ما الأمر؟ أجابها محاولاً جعل نبرته مطمئنة:

– لا شيء يا عزيزتي، هل يضايقك أن تتركينا دقيقة واحدة؟ سعت إلى اكتشاف السر الخفي الذي يبدو لها على ملامح زوجها، ثم بدأت تتكلم قائلة:

– أتعتقد أني لست كفيلة بأن... لكنها توقفت عندما رأت "**ريتشارد**" يتجه نحو الباب ويفتحه لها وهو يقول:

– من فضلك. وأخيراً غادرت "**لوتشيا**" الحجرة ملقية نظرة خلفها، تظهر فيها كل علامات الخوف.

الفصل الحادي عشر

بعد أن وضع الدكتور "**جراهام**" حقيبته الطبية على المنضدة المنخفضة، اتجه إلى الأريكة وجلس. ثم أعلن للمخبر:

– أخشى من أن نكون قد وقعنا في ورطة يا سيد "**بوارو**". وجاء قول "**بوارو**":

– سيادتك تقول في ورطة؟ هل اكتشفت ما تسبب في وفاة السيد "**كلود**"؟ أعلن "**جراهام**":

– تسمم بقلويد نباتي.

– مثل الـ "سكوبولامين" مثلاً؟ قال "**بوارو**" ذلك وهو يتناول الصندوق المحتوي على الأدوية والموضوع على المنضدة. أجاب الدكتور "**جراهام**" وقد بدت عليه الدهشة لذكر المخبر اسم السم بالتحديد:

– حسنًا... نعم بالضبط. ثم تناول "**بوارو**" الصندوق ثانية ووضعه على منضدة الفونغراف في الجانب الآخر من الحجرة التي لحق به فيها "**هاستينجز**"، بينما جلس "**ريتشارد آموري**" بجوار الدكتور على الأريكة. سأل هذا الأخير "**جراهام**":

– ماذا سيتطلب هذا الأمر؟

– أولاً تدخل الشرطة. هكذا أجاب الطبيب سريعًا. وإذا بـ "**ريتشارد**" يصيح:

– يا إلهي! إنه لأمر مزعج ومخيف، ألا يمكنك التكتم على هذا الأمر؟ تفرّس الدكتور "**جراهام**" طويلاً في "**ريتشارد**" قبل أن ينطق بصوت راسخ:

– صدقني يا سيد "**ريتشارد**" يا عزيزي، ليس هناك من يؤلمه مثل هذا الأمر بقدر ما تألمت أنا له. بالنسبة إلى هذه الظروف الاحتمال ضعيف في استخدام السم من باب الخطإ. بعد لحظة صمت لم تتعدّ الثواني، تمكن "**ريتشارد**" من النطق بالآتي:

– تقصد أنه موضوع اغتيال؟ اكتفى "**جراهام**" بحكّ رأسه. قال "**ريتشارد**":

– اغتيال؟ والآن ماذا سنفعل؟ حينئذ وضّح الدكتور "**جراهام**" – بإيجاز – سير الإجراءات التي ستُتبع:

– لقد أخطرت ضابط المباحث وسوف يتم التحقيق غداً في "**كنجز. آر. إم**"...

– واضح أن سيادتك واثق بأنه ينبغي أن تتدخل الشرطة؟ لا مفرّ من ذلك؟

– إطلاقًا، ضع هذا في الاعتبار. حينئذ اشتدت عصبية الشاب، وقال:

– لماذا لم تخطرني بأن... قاطعه "**جراهام**":

– هيًا يا "**ريتشارد**"، تمالك نفسك وافهم أني اكتفيت بعمل الإجراءات التي أراها ضرورية؛ لأننا في مثل هذه الأمور نتصرف بأسرع ما يمكن.

– يا إلهي! هكذا جاء تعليق "**ريتشارد**". وواصل الدكتور "**جراهام**" بصوت هادئ:

– أنا أعلم يا "**ريتشارد**"... كما أني متفهم. كل ما سببته لك وفاة والدك؛ بالإضافة إلى صدمة هذا الاكتشاف... حتمًا كل ذلك مزعج ومؤلم لك. لكن هناك بعض التفاصيل من واجبي أن أسألك عنها. هل أنت مستعد للإجابة عنها؟ قاوم "**ريتشارد**" عواطفه وسأله:

– ماذا تريد أن تعرف؟

– أولاً ما الذي تناوله والدك خلال عشاء مساء أمس من مواد صلبة ومن مشروبات؟

– انتظر... لقد تناول كلنا نفس الطعام: حساء، سمك موسى مشوي، بفتيك... وختمنا بسلطة فواكه.

– وماذا شربتم؟ أجاب "**ريتشارد**" :

– والدي وعمتي شربا نبيذًا بورجونيًا وأعتقد "**رينور**" أيضًا، أما أنا فتناولت شرابا بالصودا، والدكتور "**كاريللي**" شرب نبيذًا أبيض طوال الوجبة. تمتم "**جراهام**" :

– آه! نعم، الدكتور "**كاريللي**" العجيب، ماذا تعرف بالضبط عن هذا الشخص؟ شعر "**هاستينجز**" برغبة، بل بفضول لمعرفة رد "**ريتشارد**"، فاقترب من الرجلين، أعلن "**ريتشارد**" :

– لا أدري شيئًا عنه إلا من صباح أمس؛ فقد كنت أجهل وجوده. سأله الطبيب :

– لكن هل هو صديق لزوجتك؟

– على ما يبدو.

– هل صلتها به وثيقة؟

– آه، لا. لديَّ إحساس بأنه مجرد تعارف. وهنا هزّ "**جراهام**" رأسه :

– إنك لم تدعه يغادر المنزل، أتعشم ذلك؟

– بداهة لا، لقد حرصت مساء أمس على أن أشجعه على البقاء معنا، مادام هذا الموضوع لم يتكشف – موضوع الورقة المسروقة أقصد – بل وأرسلت من يحضر له أمتعته من الفندق الذي كان ينزل فيه. علق "**جراهام**" دهشًا :

– ولم يعترض قط؟

– لا، بالعكس لقد قبل ذلك عن طيب خاطر.

– هيه! هذا كل ما نطق به "**جراهام**". نظر حوله، ثم أردف :

– حسنًا. وهذه الحجرة الآن. لحق "**بوارو**" بالرجلين. قال "**ريتشارد**" :

– كان "**تريدويل**" قد أغلق الأبواب بالمزاليج – هكذا أكد لـ "**جراهام**" – والمفاتيح كانت قد سُلّمت لي. لم يتحرك شيء عدا هذه الكراسي، وقد تُلاحظ ذلك. ورأى "**جراهام**" قدح القهوة على المنضدة وأشار إليه بإصبعه، وقال :

– وهذا؟ ثم اقترب من القدح وشمّه. ثم قال :

– هل هذا هو القدح الذي شرب فيه والدك قهوته يا "**ريتشارد**"؟ لابد لي من

أخذه لتحليل ما به . ثم عاد إلى المنضدة المنخفضة ومعه القدح المشكوك فيه ووضعه في حقيبته. حينئذ انتصب "**ريتشارد**" وهو يقول:

– على أي حال، لن تتوقع.. انقطعت أنفاسه وعجز عن مواصلة كلامه.. وضّح له "**جراهام**" :

– يبدو أن احتمال وضع السم في أثناء العشاء ضعيف جدًّا، بل غير محتمل، أما ما هو ممكن هو أن مادة الـ "سكوبولامين" وُضعت في القهوة.

– أنا... أنا... حاول "**ريتشارد**" أن ينطق وهو يتقدم خطوة نحو الطبيب، ثم خرج من باب النافذة إلى الحديقة. أخرج "**جراهام**" من حقيبته علبة كرتون صغيرة بها قطن طبي، ووضع فيها القدح موجهًا الكلام إلى "**بوارو**" :

– عمل قذر. لكن ردة الفعل عند "**ريتشارد**" لا تدهشني كثيرًا. والصحف سوف تعلق كثيرًا على وجود علاقة صداقة بين زوجته وهذا الطبيب الإيطالي. ومن أدراك، قد تكون الزوجة بريئة براءة الحمل. إن أولئك الأجانب.. يعرفون المداخل، ولا شك في أنه كان قد وجد السبيل لتكوين علاقة معها. إني موقن بأنه لا ينبغي أن أذكر كل ذلك، لكن فيمَ نفكر بخلاف ذلك؟ سأله "**بوارو**" وهو يتبادل النظرات مع "**هاستينجز**" :

– إنك إذن ترى في ذلك إثباتًا، أليس كذلك؟ قال "**جراهام**" موضحًا:

– نعم؛ لأن اختراع السيد "**كلود**" كان ومازال ذا قيمة عالية. إن هذا الأجنبي الذي لا يعرف عنه أحد شيئًا ينزل إلى هنا كما ينزل على أرض مكتسبة، إنه إيطالي... السيد "**كلود**" مات مسمومًا في ظروف غامضة. ابتسم "**بوارو**" وقال:

– لا تتعدى كونها حقيقة. أين كان تفكيري؟! آل "**بورجيا**".

– أستأذنكم. هكذا قال الطبيب.

– آه، لا مانع، لا مانع. أخذ "**جراهام**" حقيبته وتأهب للرحيل قائلاً:

– حسنًا، إني مضطر إلى الانصراف... مرضاي... ومدّ يده إلى "**بوارو**" الذي صافحه بحرارة:

– إلى اللقاء يا عزيزي الدكتور.. على أن يكون هذا اللقاء قريبًا. وعند عتبة

الباب التفت "**جراهام**"، وقال:

– إلى اللقاء يا سيد "**بوارو**". ليتك تحرص على ألا يلمس أي شخص كان أي شيء في هذه الحجرة لحين وصول الشرطة، أليس كذلك؟ لأن في ذلك أهمية قصوى.

– سأهتم بذلك بنفسي، اطمئن. خرج الطبيب وأغلق الباب خلفه. قال "**هاستينجز**" معلقًا بين الجد والهزل:

– كلام بيننا يا "**بوارو**"، أنا لا أتمنى أن أمرض في هذا المنزل. أولاً، لأنه يبدو أن سمّامًا يتجول فيه، ثم لأن هذا الطبيب الشاب لا يمنحني إحساساً بالثقة. ابتسم "**بوارو**" لـ"**هاستينجز**":

– نتعشم أن ننصرف من هنا قبل أن نمرض يا عزيزي. بعد ذلك، اتجه نحو المدفأة وضغط على زر الجرس، وقال لزميله الذي كان يتأمل المائدة المنخفضة:

– والآن، إلى العمل يا "**هاستينجز**". سأله القائد:

– ماذا تعتزم أن تفعل؟ أجاب "**بوارو**":

– أنت وأنا، يا صديقي، هيا نشرك قيصر "**بورجيا**" في الموضوع. في هذه الأثناء رد "**تريدويل**" على جرس "**بوارو**":

– نعم يا سيدي، هل طلبتني؟

– نعم يا "**تريدويل**"، ليتك تطلب من هذا السيد الإيطالي أن يأتي عندنا.

– حالا يا سيدي. هكذا أجاب "**تريدويل**". غادر رئيس الخدم الحجرة واتجه "**بوارو**" نحو المائدة لكي يأخذ الصندوق المحتوي على المواد الكيميائية. قال لـ"**هاستينجز**":

– أعتقد أنه من الأفضل إعادة هذه الأدوية الخطيرة إلى مكانها. مد "**بوارو**" يده وناول "**هاستينجز**" الصندوق الزنك، ثم قرّب مقعداً من المكتبة واعتلاه. حينئذ صاح "**هاستينجز**":

– التعطش دائمًا إلى النظام والتنسيق، هيه؟ لكن يخيل إليّ أنك تفكر في شيء آخر. سأله "**بوارو**":

– ماذا إذن؟

– أعلم ما تفكر فيه. أنت لا تريد أن تزعج "**كاريللي**". ومع ذلك، من الذي استخدم هذه المكونات مساء أمس؟ هو بين آخرين. إذا رآها على المنضدة فقد تزعجه، أليس كذلك؟ وتناول "**بوارو**" الصندوق من زميله ووضعه على المكتبة، وقال له "**هاستينجز**":

– إني أعرفك جيداً. لست أنا من تذر لي رماداً في عينيَّ.

بينما كان "**هاستينجز**" ينطق بهذه الجملة، مرّر "**بوارو**" سبابته على إطار المكتبة، الأمر الذي أثار سحابة من الغبار سقطت كالمطر على وجه صديقه الذي كان ينظر إلى أعلى. ثم ضحك وهو يمرر إصبعه من جديد على الرف قائلاً:

– فعلاً رماد في العينين ها قد لحق بك ذلك يا عزيزي، ولو رأيت الغبار كثيراً جداً، وللأسف ليس لدى منشفة منداّة لإزالته. ضحك "**هاستينجز**" من قلبه وقال له:

– يا عزيزي "**بوارو**"، أنت لست سيدة نظافة. أجاب وفي صوته نبرة حزينة:

– للأسف لا، لقد شاء القدر أن يجعل مني مخبراً ليس إلا.

– إذن، ليس هناك ما يحتاج إلى اختبار أو فحص؛ لذلك عليك أن تنزل.

– أنت على حق. ليس هناك ما يحتاج إلى.. توقف "**بوارو**" فجأة ومكث واقفاً على مقعده... سأل "**هاستينجز**" بقلق مستفسراً:

– ماذا بالأمر؟ انزل إن الدكتور "**كاريللي**" سيحضر بين دقيقة وأخرى. ولا ينبغي أن يجدك واقفاً على المقعد، أليس كذلك؟

– إنك على حق. هكذا أيّد "**بوارو**" كلامه وهو ينزل ببطء من على المقعد.

– أخبرني، ماذا في الأمر؟ كرّر "**هاستينجز**" السؤال. أجابه "**بوارو**" وهو يتطلع إلى بعيد:

– حدث أني فكرت في تلك اللحظة في شيء ما.

– وما هذا الشيء الذي تفكر فيه؟

– في الغبار يا "**هاستينجز**" يا للخزي.

وما إن انتهى من الكلام حتى فُتح الباب ليدخل منه الدكتور "**كاريللي**"، وقام

كلاهما بتحيته مع إبداء كل مشاعر الاحترام وبانحناءة، ناطقًا كل منهما بلغته الأم. بدأ "**كاريللي**" بلهجة فرنسية سليمة:

– آه يا سيد "**بوارو**"، إنك تريد أن تسألني. أجابه "**بوارو**" بالإيطالية:

– نعم يا سيدي؛ إذا سمحت.

– آه! أنت تتكلم الإيطالية؟

– بلى، إنها لغة تعلمتها في "**فرنسا**" وبالتأكيد أفضل الفرنسية. قال "**كاريللي**":

– في هذه الحالة، لنعد فوراً إلى لغة "**موليير**". ماذا تريد أن تقول لي، أو أي استفسار تطلبه؟ هنا تكلم "**هاستينجز**":

– أخبرني إذن ما معنى كل هذا التهريج وهذه البربرة (كلام غير واضح)؟

– أعتقد أن هذا المسكين ألا وهو "**هاستينجز**" غير ملم بلغات أخرى. فعلاً كنت قد غفلت عن ذلك. إذن من الأفضل أن نتكلم الإنجليزية. وافق "**كاريللي**":

– أقدم لك ألف اعتذار. لنتكلم بالإنجليزية. ثم توجه إلى "**بوارو**" بكل مظاهر الصراحة التامة.

– لقد سعدت لاستدعائك يا سيد "**بوارو**"، هل قمت بذلك للحصول على مقابلة؟

– حقًا؟ ثم أشار إلى المقعد المجاور للمنضدة. جلس "**كاريللي**" على هذا المقعد و"**بوارو**" جلس على المقعد ذي المسندين، و"**هاستينجز**" وجد راحته على الأريكة.

– حتمًا. هكذا واصل الطبيب الإيطالي.

– لأن بعض الأعمال الملحّة تطلبني في "**لندن**". شجعه "**بوارو**" بقوله:

– أرجوك، واصل.

– نعم، لقد فهمت الموقف مساء أمس. لقد سُرقت وثيقة مهمة. وأنا كنت الأجنبي الوحيد؛ لذلك قبلت البقاء لكي يتم تفتيشي، بل لكي ألحّ على تفتيشي، وأي ضيف شرف غيري كان سيتصرف مثلي. قال "**بوارو**":

– بالضبط، لكن اليوم؟

– اليوم الوضع يختلف؛ لأني كما سبق أن أخبرت هناك بعض الأمور الملحّة تتطلب عودتي إلى "**لندن**".

– وأنت بالتالي تتمنى أن تنصرف؟

– بالضبط. قال "**بوارو**" معلقًا:

– على أي حال يبدو الأمر طبيعيًّا. ما رأيك يا "**هاستينجز**"؟ وإن كان هذا الأخير قد امتنع عن الرد، إلا أن وجهه كان يعبر بما هو عكس ذلك. حينئذ اقترح "**كاريللي**":

– قد تفيد كلمة منك إلى السيد "**ريتشارد**" يا سيد "**بوارو**" في بتِّ الأمر. قال له "**بوارو**" مؤكدًا:

– رغبتك مُجابة يا دكتور. وأنا في الانتظار، ربما يكون بإمكانك مساعدتي على إلقاء ضوء على نقطة أو نقطتين بالتفصيل.

– يسعدني أن أكون نافعًا لك. بعد لحظة تفكير قصيرة، وجه إليه "**بوارو**" سؤاله الأول:

– هل صداقتك للسيدة "**ريتشارد آموري**" ترجع إلى زمن بعيد؟ أجابه "**كاريللي**":

– نعم، إلى زمن بعيد جدًّا. أطلق زفيرًا:

– لقد فوجئت بمقابلتي لها بطريقة غير متوقعة أي بغتة في هذا المكان المجهول.

– سيادتك تقول بغتة؟

– بالضبط. هكذا أكد "**كاريللي**" ملقيًا نظرة خاطفة إلى المخبر. كرّر "**بوارو**":

– غير متوقعة تمامًا، أترى ذلك؟ حينئذ بدأ التوتر يسود الجو، وألقى "**كاريللي**" نظرة قاسية إلى "**بوارو**". وهذا الأخير سأله:

– هل تهتم بالاكتشافات العلمية؟ قال له "**كاريللي**":

– وضع طبيعي، أنا طبيب.

– نعم، لكن أحدهما لا يتضمن الآخر. أن يبهرك ويشدك اكتشاف مصل جديد

أو أشعة جديدة فعّالة في علاج بعض الحالات أو أحد الفيروسات، هذا أمر مقبول لا شك في ذلك، لكن على العكس من ذلك، نوع من أنواع المتفجرات، هل هذا له علاقة بالطب؟ أجاب "**كاريللي**":

– المفروض أن نهتم كلنا دون استثناء بالعلم وبمختلف أنواعه؛ العلم والاكتشافات يمثلان انتصار الإنسان على الطبيعة التي ينتزع منها أسرارها. حك "**بوارو**" رأسه علامة تأييد:

– جميل جدًّا قولك هذا، بل ورائع، لكن كما ذكّرني صديقي "**هاستينجز**" أنا لست سوى مخبر ولم أصل إلى هذه الآفاق، إني أقيّم المواقف من وجهة نظر مادية. وهل اكتشاف السيد "**كلود**" هذا يقدّر بمال وفير؟ أجاب "**كاريللي**" مبديًا احتقاراً للسؤال:

– ممكن، لكني لم أفكر قط في هذا الجانب من السؤال. أردف "**بوارو**":

– إنك إنسان ذو مبادئ ولك تطلعات كبيرة، وبالتالي العديد من الوسائل كأن يكون السفر بالنسبة إليك ترفيهًا. أجاب "**كاريللي**" وكان حريصًا على ألا يضحك:

– لابد من معرفة العالم الذي نعيش فيه. قال "**بوارو**" مؤيداً قوله:

– بالتأكيد، وكذلك من يعيشون فيه، فهناك أناس شواذ. على سبيل المثال اللص، يا لها من عقلية تلك التي يتمتع بها! أيّد الطبيب قوله:

– إنها عجيبة جدًّا. أنا معك في هذا الرأي. واستطرد "**بوارو**":

– والنصّاب أو المبتز كذلك.

– ماذا تقصد بذلك؟

– أقصد النصّاب كذلك أو المبتز يتمتع بعقلية فريدة جدًّا من نوعها. ساد بعد ذلك صمت لفترة ليست بالقليلة، قطعه البلجيكي القصير بقوله:

– لكننا ابتعدنا عن موضوعنا ألا وهو وفاة السيد "**كلود**".

– وفاة السيد "**كلود آموري**"؟؟ وفيمَ يكون هذا موضوعنا؟

– آه حقًّا... إنك لم تعرف هذا الأمر بعد... يؤسفني أن أخبرك بأن السيد

"**كلود**" لم يمت إثر أية أزمة قلبية، إنما مات مسمومًا. قال "**بوارو**" قوله هذا وراقب بانتباه شديد ردة الفعل عند الإيطالي. تمتم هذا الأخير وهو يحك رأسه:

– أمر عجيب! سأله "**بوارو**":

– ألم يفاجئك هذا الخبر؟ أجاب "**كاريللي**":

– بصراحة لا، لقد ناقشته مساء أمس. أعلن "**بوارو**":

– وأنت تعلم أن هذا الخبر الجديد يجعل الموقف أكثر تعقيداً ويحتاج إلى بحث. ثم غيّر "**بوارو**" من لهجته وجعلها جافة، وقال له:

– لن تتمكن من مغادرة المنزل اليوم يا دكتور "**كاريللي**". مال الطبيب على "**بوارو**" وسأله:

– تربط بين وفاة السيد "**كلود**" وسرقة البحث العلمي؟ أجابه "**بوارو**":

– هذا بديهي. لست أنت؟ أسرع "**كاريللي**" في مبادلته الحوار.

– ألا يوجد في هذا المنزل بعيداً عن أمر السرقة من يكون راغبًا أو له مصلحة في قتل السيد "**كلود**"؟ وما منفعة أفراد أسرة السيد "**كلود**" من اختفائه؟ سأخبرك بذلك. ستمنحهم الحرية يا سيد، الحرية التي ستلحق بهم، وما ذكرته منذ قليل: المال. كان هذا العجوز طاغية ومحبًا جدًّا لعمله. سأله "**بوارو**":

– هل لاحظت كل ذلك وتوصلت إلى هذه المعلومات خلال ليلة واحدة يادكتور؟ أجاب "**كاريللي**":

– وإذا كان قد حدث ذلك؟ إن لي عينين أجيد استخدامهما، على الأقل ثلاثة أفراد كانوا يتمنون موته. ثم نهض إثر ذلك ونظر إلى الساعة الموجودة أعلى المدفأة.

– لكن ليست هذه هي مشكلتي حاليًّا. ليس الموضوع الذي أبحث فيه. وإذ مال "**هاستينجز**" إلى الأمام مهتمًّا بالحوار، واصل "**كاريللي**":

– إن ما يزعجني هو عدم تمكني من تلبية مواعيد "**لندن**". قال "**بوارو**":

– آسف يا دكتور، لكن ماذا بوسعي أن أعمل؟

– على كل حال، أنا أتخيل أنك لا تحتاج إليّ.

– حاليًّا، لا. ثم اتجه "**كاريللي**" إلى الباب، وقبل مغادرته الحجرة التفت وواجه المخبر وقال:

– سوف أزف إليك خبراً نافعًا. هناك سيدات من الخطورة إغضابهن. فقدم له "**بوارو**" تحية مصحوبة بانحناءته المألوفة التي بادله إياها "**كاريللي**" قبل أن ينصرف.

الفصل الثاني عشر

عندما غادر "**كاريللي**" المكان ظل "**هاستينجز**" للحظات مستنداً إلى الباب وأخيراً سأل "**بوارو**":

– بعض السيدات من الخطورة إغضابهن... ترى ماذا كان يقصد بذلك يا"**بوارو**"؟ اكتفى "**بوارو**" بهز كتفيه مؤكداً:

– كانت ملحوظة بلا أهمية. وتابع "**هاستينجز**" قائلاً:

– لكن، لنضع في الاعتبار يا "**بوارو**" أني واثق بأن "**كاريللي**" كان يحاول أن يترك لك رسالة.

– رِن الجرس بدورك يا "**هاستينجز**" أترغب في ذلك؟ كان هذا هو الرد الوحيد للمخبر. نفذ القائد ما طلب منه، لكنه عجز عن الامتناع عن توجيه سؤال آخر.

– وما الذي تعتزم القيام به الآن؟ أجاب "**بوارو**" بأسلوب رمزي:

– فضيلة الصبر أُم كل الفضائل، سترى ذلك يا صديقي العزيز. ظهر "**تريدويل**" من جديد قائلاً كعادته:

– نعم يا سيدي؟ كان يقول ذلك بكل احترام يقابله "**بوارو**" بابتسامة خفيفة:

– آه يا "**تريدويل**"... ليتك تقدم تحياتي للآنسة "**كارولين آموري**" وتطلب منها أن تمنحني بعض اللحظات من وقتها الثمين. هيه؟

– فوراً يا سيدي.

– شكرًا يا "**تريدويل**". قال "**هاستينجز**":

– لكن هذه العجوز البائسة ملازمة الفراش، وأنت على الرغم من ذلك لن تستطيع أن تلزمها بأن تنهض إذا كانت متألمة.

– إني أعلم كل شيء يا "**هاستينجز**". وهل هي ملازمة السرير؟

ـ وفقًا لرغبتك لن تبقى فيه بعد. حينئذ ربت "**بوارو**" بمودة كتف القائد:

ـ هذا هو بالتحديد ما أرغب في التأكد منه. إلا أن "**هاستينجز**" أصر على رأيه، وقال له:

ـ وبعد، ألا تتذكر؟ مع أن "**ريتشارد**" أخبرنا به. تطلع المخبر إلى صديقه دون أن يرمش بعينيه، ثم قال:

ـ لقد قتل رجل في هذا المنزل يا "**هاستينجز**" تحت سقفه ووسط أسرته، وما رد الفعل عند أسرته؟ البدء في اختراع الأكاذيب، دائمًا أكاذيب؛ لماذا تريد السيدة "**اموري**" أن أرحل؟ ولماذا يريد السيد "**اموري**" كذلك أن أوقف البحث؟ ولماذا يحول دون لقائي بعمته؟ ترى ما الذي يخشى من أن نكشفه؟ أقول لك يا"**هاستينجز**" إننا في مواجهة مأساة. إننا لا نواجه مجرد جريمة صغيرة إنما فعلاً مأساة، مأساة إنسانية. كان سيسترسل دون شك وبسرور في هذا الموضوع لكن الآنسة "**اموري**" قد أتت في هذه اللحظة بالتحديد. توجهت الآنسة إلى "**بوارو**" وهي تغلق الباب، وقالت:

ـ يا سيد "**بوارو**"، لقد أخبرني "**تريدويل**" بأنك ترغب في لقائي، حقًا؟

ـ بالضبط يا آنستي. ثم أردف مؤكدًا وهو يقترب:

ـ لكن لا تنزعجي، غاية ما في الأمر أني أرغب في توجيه بعض الأسئلة إليك، ألا تريدين أن تجلسي؟ قادها إلى مقعد بجوار المنضدة. جلست عليه وألقت إليه نظرة تبدو فيها العصبية. جلس "**بوارو**" بجوار المنضدة على المقعد المقابل، وواصل:

ـ أعتقد أنك كنت مريضة... أو ربما منهكة وحائرة. تنهدت "**كارولين آموري**"، وقالت:

ـ الصدمة قاسية بالنسبة إليَّ؛ وهذا لا يحتاج إلى إيضاح. سوف أعاني فيما بعد؛ لكن لابد من أن يحتفظ أحدهم برباطة جأشه. هذا ما أردده دائمًا، والخدم من جانبهم في حالة ارتباك يا سيد "**بوارو**"، لكن لا تتعاطف معهم؛ لأنهم لا يحبون سوى الجنازات، إنهم يفضلون وفاة واحدة مائة مرة على أفراح عديدة. أتحدى إن لم يكن

هكذا، أما بالنسبة إلى هذا الدكتور العزيز "**جراهام**" .. آه! كم هو لطيف إنه فعلاً معز إنه كطبيب ممتاز، وإنه بالتأكيد مفتون بـ "**بربارا**" . ويؤسفني أن "**ريتشارد**" لا يقدّره، لكنه... لكن ماذا كنت أقول؟ آه نعم، الدكتور "**جراهام**" . إنه يفيض شبابًا. لقد أشرف على شفاء عصبيتي العام الماضي. ليس لأني دائمًا مريضة... انظر إلى هذه الصغيرة "**لوتشيا**"، مساء أمس اضطرت إلى ترك مائدة العشاء؛ لأنها كانت على وشك الإغماء. بالتأكيد كانت المسكينة مجموعة أعصاب. ماذا تتوقع ممن تجري في عروقها دماء إيطالية... لقد أصيبت بنفس الحالة التي كانت قد لحقت بها يوم أن فقدت عقدها الألماسي. وتوقفت الآنسة "**آموري**" عن الكلام؛ لكي تسترد أنفاسها، أما "**بوارو**" الذي كان مستعداً لإشعال سيجارة، فقد انتهز هذه الفرصة لكي يوجه إليها هذا السؤال:

- وهل سُرق عقد السيدة "**آموري**" الألماسي؟ وهل كان غاليا يا آنستي؟ بدت الآنسة "**آموري**" ساهمة ومفكرة وهي تقول:

- هذا الحدث كان لابد أن يقع... نعم، لقد حدث ذلك منذ شهر، وفي اللحظة نفسها التي كان "**ريتشارد**" يتشاجر مع والده فيها، نظر "**بوارو**" إلى السيجارة التي بيده، وقال:

- هل تسمحين لي يا آنستي بالتدخين؟ وبناء على ابتسامة رقيقة وحكة لرأسها من قِبل محدّثته، أخرج "**بوارو**" سيجارة من العلبة وأشعلها. وبنظرة شجع الآنسة "**آموري**" على مواصلة حديثها، وإذ لاحظ أن الآنسة المحترمة لا تعرف من أين تواصل حديثها، ساعدها:

- أعتقد أنك كنت تقولين إن السيد "**آموري**" كان قد تشاجر مع والده، أليس كذلك؟ أجابت:

- آه، لا، لم يكن هناك سبب قوي لتلك المشاجرة. كان الأمر بشأن ديون "**ريتشارد**" . أخبرني مَن مِن الشبان ليست عليه ديون عدا أخي "**كلود**"؟ كان وهو شاب تحت نير دراساته وفيما بعد، لاحظ جيداً، لقد ابتلعت أبحاثه مبالغ هائلة. باختصار، لقد تعبت من تكراري له بأن على "**ريتشارد**" أن يحافظ على الثروة، لكن منذ شهرين تمّت سرقة عقد "**لوتشيا**" الألماسي ورفضت استدعاء الشرطة.

والآن أدعك تتخيل الجانب المؤلم للموقف، وكذلك الأعصاب، دائماً، الأعصاب.

– هل أنت متأكدة من أن الدخان الصادر عن السيجارة لا يضايقك يا آنستي؟ هكذا سألها "**بوارو**". طمأنته الآنسة "**آموري**" قائلة:

– لا، بالمرة، لقد كنت أرى دائماً أنه ينبغي أن يدخن جميع الرجال. عندما لاحظ "**بوارو**" أن سيجارته لا تشتعل جيداً، تناول علبة أعواد الثقاب الموضوعة على المنضدة، ثم قال:

– إنه ليس بالوضع العادي أن تفقد شابة جميلة مجوهراتها مع هذا القدر من اللامبالاة، أليس كذلك؟

هكذا سأل وهو يشعل سيجارته ثانية قبل أن يعيد اثنين من أعواد الثقاب المستعملة في العلبة التي وضعها بعد ذلك في جيبه. حينئذ قالت الآنسة "**آموري**" عاملة على تصحيح التعبير:

– أفضل التعبير بكلمة غريب على كلمة عادي، نعم إنه موقف عجيب (ومع ذلك يبدو أنه لم يبال بقولها) لكن هأنا أثرثر من هنا ومن هناك، وهأنا قد ابتعدت وتناولت موضوعات لا تهمك لا بكثير ولا بقليل يا سيد "**بوارو**". أجابها:

– لكنك تعجبينني إلى أقصى درجة يا آنسة "**آموري**". أخبريني، هل السيدة "**آموري**" – عندما غادرت مائدة العشاء مساء أمس – كانت متألمة عندما صعدت إلى حجرتها؟ أجابته "**كارولين آموري**":

– لا، لقد أتت إلى هنا. لقد أجلستها هنا على الأريكة، ثم عدت إلى حجرة الطعام تاركة إياها مع زوجها "**ريتشارد**". إنهما حديثا الزواج يا سيد "**بوارو**"، وأنت تعلم هذه الفترة. إن رجال اليوم ليسوا رومانسيين كما كانوا عندما كنت شابة. يا إلهي! أتذكر شاباً... كان يدعى "**آلويسوس جونز**". كثيراً ما كنا نلعب معاً بالـ "كروكي" (لعبة بالكرات الخشبية). هأنا مرة أخرى ابتعدت عن الموضوع. كنا نتكلم عن "**ريتشارد**" و"**لوتشيا**". يا له من ثنائي جميل الذي يكونانه! ألا ترى معي ذلك؟ كان قد قابلها في "**إيطاليا**"... على بحيرات إيطالية.. آه! ياالجمال البحيرات الإيطالية! في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي. كم هي جذابة!

كانت "**لوتشيا**" يتيمة ووحيدة في الدنيا. شيء محزن، وإن كنت لأتساءل أحيانًا- إن لم يكن ذلك للخير - لو كان لها كمٌّ من الأقارب لكان الموقف حينذاك لا يحتمل. آه! لو أنك عرفت الإيطاليين! وفجأة التفتت إلى "**بوارو**"، وقالت:

- آه! أنا آسفة. تمتم المخبر وهو يلقي إلى "**هاستينجز**" نظرة معبّرة:

- لا، لا، لا يهمك يا آنسة. وبخجل اعتذرت الآنسة "**آموري**":

- كم هو غباء مني... أنا لم أقصد... بالتأكيد، كما أن الوضع يختلف في حالتك عن وضع مواطنيك: "أيها البلجيكيون" كما كانوا يدعونكم أيام الحرب...

- أرجوك لا تعذبي نفسك هكذا. قال "**بوارو**" هذا محاولاً طمأنتها. ثم بعد فترة صمت - وكان ذكر الحرب ذكّره بأحد التفاصيل - استطرد:

- كنت أظن أن صندوق الأدوية الموجود على المكتبة من مخلفات الحرب. لقد اشتركت في فحصه مساء أمس، أليس كذلك؟

- نعم، بالضبط. ثم سألها "**بوارو**":

- لكن كيف لجأتم إلى هذا الصندوق؟ فكرت الآنسة "**آموري**" لحظة قبل أن تجيب:

- كيف أتينا إلى هنا؟ آه! لقد تذكرت. أسفت لأن ليست لديّ أملاح، فأنزلت "**بربارا**" هذا الصندوق، وعندما دخل أولئك السادة أفزعني الدكتور "**كاريللي**" بتعليقاته. حينئذ بدأ "**هاستينجز**" يُظهر اهتمامًا لما يحتوي عليه هذا الحديث، ومن جانبه عمل "**بوارو**" على حث الآنسة "**آموري**" على الاستمرار قائلاً:

- تقولين لقد علّق على هذه المحتويات؟ أعتقد أنه فحصها عن قرب. أيّدت الآنسة "**آموري**" كلامه قائلة:

- نعم، لقد تناول واحدة من الأنابيب الزجاجية كان لها اسم بريمات "برومات" أو "بروم هيدرات" ماذا لست أدري، أعتقد أنه سبق لي أن تناولته لمقاومة دوار البحر. وأكد لنا أنه بإمكاننا بالمجموعة التي أمام عينيه أن نقضي على اثني عشر رجلاً من أقوى الرجال. سألها "**بوارو**":

– "بروم هيدرات السكوبولامين"؟

– المعذرة.

– هل كان الدكتور "**كاريللي**" يقصد "بروم هيدرات السكوبولامين"؟ قالت الآنسة "**أموري**" وهي تصفق مبتهجة:

– نعم، تماماً، حينئذ اخذته "**لوتشيا**" من بين يديه وكررت جملة كان قد ذكرها بخصوص نعاس بلا أحلام، لكن لا يستيقظ منه الشخص. إني أمقت هذه المحفوظة الحديثة وأكرّر ذلك دائماً. منذ أن توفي اللورد "**تينسون**" ليس هناك من يكتب شعراً له قيمة... تمتم "**بوارو**":

– اللعنة! سألته الآنسة "**أموري**":

– المعذرة، ماذا كنت تقول؟

– لا شيء، كنت أقول فقط "رائع" بينما كنت أفكر في اللورد "**تينسون**"، لكن أكملي من فضلك، ماذا حدث بعد ذلك؟

– بعد ذلك؟ بعد ماذا؟

– كنت تحدثينا عن سهرة الأمس. هنا، في هذه الحجرة...

– آه، نعم، بعد ذلك، أرادت "**بربارا**" وضع أسطوانة سخيفة على الفونوغراف، والحمد لله تمكنت من منعها من ذلك.

– وهذه الأنبوبة التي كانت بيد الدكتور كانت مليئة؟ أجابته الآنسة "**أموري**" دون تردد:

– نعم؛ لأنه قال إن نصف ما بهذه الأنبوبة كفيل بالقيام بما أذكره. نهضت الآنسة من مقعدها وابتعدت عن المنضدة، وكان هو أيضاً قد نهض لكي يلحق بها، وأكملت:

– هل تعلم يا سيد "**بوارو**" أني من البداية لا أحب هذا الدكتور "**كاريللي**"؟ إن سريرته ليست سليمة... ومن المؤكد أنني حرصت على الا أكشف لـ "**لوتشيا**" عما يجول بخاطري مادام صديقها، إنني لا أحبه، ولكن "**لوتشيا**" تضع ثقتها فيه كاملة، كما أني أشعر داخليًّا بأن هذا الشخص وجد في جعله يُدعى إلى المنزل الوسيلة التي ستمكنه من سرقة البحث العلمي. تطلع "**بوارو**" إلى الآنسة "**أموري**"

وفي نظرته استجواب:

– وأنت لا تشكين في أن الدكتور "**كاريللي**" هو الذي سلب ورقة السيد "**كلود**" المحتوية على وصفة اكتشافه الجديد؟ قالت:

– يا سيد "**بوارو**"، من غيره بإمكانه أن يقوم بذلك؟ لقد كان الأجنبي الوحيد الحاضر في المنزل. ومن البديهي أن أخي لم يشأ أن يسمح لنفسه بأن يشك في ضيفه؛ لذلك أراد أن يقدم فرصة لإعادة الوثيقة. لقد وجدت في تصرفه هذا مزيداً من الرقة. قال "**بوارو**" وهو يحوّط كتفي "**كارولين**" بذراعه الأمر الذي لم تستحسنه:

– بالضبط، والآن يا آنسة إني أحتاج إلى تجربة ويلزمني أن أطلب اشتراكك فيها معي. رفع ذراعه عنها وأكمل:

– أين كنت جالسة مساء أمس عندما أُطفئت الأنوار؟ أشارت الآنسة "**آموري**" إلى الأريكة، وقالت:

– هنا. قال لها:

– ليتك تعودين إليها. نفذت ما طلبه منها. قال لها "**بوارو**":

– وحاليًّا يا آنستي، سأطلب منك مجهوداً كبيراً من الخيال. أغلقي عينيك من فضلك. أطاعت الآنسة "**آموري**"، وواصل "**بوارو**":

– حسنًا جداً، الآن تخيلي أنك عدت إلى مساء أمس. الظلام يسود المكان. وأنت لا ترين شيئًا، لكن يمكنك أن تسمعي. ليتك تعودين إلى هذه اللحظات. وبعد قليل قال لها:

– الآن أخبريني ماذا تسمعين في الظلام؟ وإذ تأثرت بما يقوم به المخبر، كانت الآنسة "**آموري**" تحرص جاهدة على تنفيذ ما يطالبها به. وبعد لحظة صمت وسكون، بدأت تتكلم ببطء وعلى دفعات:

– لهاث أو تنهدات، إذا فضلت، ثم سقوط مقعد ورنين شيء معدني...

– مثل هذا الصوت؟ هكذا قال "**بوارو**" الذي أخرج مفتاحًا من جيبه وألقى به على الأرض. لم يصدر المفتاح صوتًا وأعلنت الآنسة "**آموري**" أنها لا تسمع شيئًا.

– إذن، ربما مثل هذا الصوت؟ سألها بعد أن التقط المفتاح من على الأرض وألقى به بشدة على المنضدة المنخفضة. صاحت الآنسة "**آموري**" :

– الآن هذا هو الصوت الذي سمعته مساء أمس. أمر يثير الفضول.

– استمري أرجوك. هكذا كان "**بوارو**" يشجعها.

– حسنًا، لقد سمعت بعد ذلك "**لوتشيا**" تصرخ وتنادي "**كلود**"، وفي تلك اللحظة، سُمع القرع على الباب.

– هذا كله؟ هل أنت واثقة؟

– نعم، أعتقد جيداً... آه، انتظر دقيقة. في البداية، وُجد صوت غريب، وكأنه حرير يُمزق. أعتقد أنه فستان واحدة.

– فستان مَن حسب اعتقادك؟

– لا يمكن أن يكون فستان "**لوتشيا**" وليس فستان "**بربارا**"؛ لأنها كانت جالسة هنا بالضبط بجواري. قال "**بوارو**" وقد بدا ساهمًا:

– شيء عجيب! ختمت الآنسة "**آموري**" بقولها:

– وهذا بالضبط هو كل شيء. أبوسعي الآن أن أفتح عينيّ ثانية؟

– بالتأكيد يا آنسة. وفعلاً فتحت عينيها، إلا أنه وجه إليها سؤالاً آخر:

– ومَن الذي قدم القهوة للسيد "**كلود**"؟ أنتِ؟ أجابته الآنسة "**آموري**" :

– لا، إنها "**لوتشيا**".

– في أية لحظة بالتحديد؟

– بالضبط بعد أن دار الحديث حول المواد الكيميائية.

– هل السيدة "**آموري**" ذاتها هي التي حملت القهوة إلى السيد "**كلود**"؟ وبعد لحظة تفكير أعلنت "**كارولين آموري**" :

– لا. استفسر "**بوارو**" :

– لا! إذن من؟

– لا أعلم. أنا لست واثقة... لحظة. آه! نعم لقد تذكرت، قدح "**كلود**" كان على المنضدة بجوار قدح "**لوتشيا**". لقد تذكرت أن السيد "**رينور**" عندما تأهب

لإعطاء القهوة إلى **"كلود"** في مكتبه، نادته **"لوتشيا"** لكي تقول له إنه أخطأ، وإن لم يكن هناك ما يفرّق بين القدحين مادامت القهوة دون سكر. قال **"بوارو"** معلقًا:

– إذن، السيد **"رينور"** هو الذي حمل القهوة لكي يقدمها إلى **"كلود"**؟

– نعم.. بل لا، **"ريتشارد"** كان قد أخذها من يديه؛ لأن **"بربارا"** كانت تريد أن ترقص مع السيد **"رينور"**.

– إذن السيد **"آموري"** هو الذي حمل القهوة إلى والده؟ أكدت الآنسة **"آموري"**:

– نعم، هذه المرة، هكذا كان ذلك. تعجب **"بوارو"** وواصل أسئلته:

– أخبريني بما كان يفعله السيد **"آموري"** قبل ذلك؟ هل كان يرقص؟ أجابته الآنسة **"آموري"**:

– آه! لا، كان يعيد كل الأدوية إلى مكانها بكل عناية.

– إذن السيد **"كلود"** كان قد شرب قهوته في مكتبه؟

– يخيل إليّ أنه بدأ يشربها هناك. ثم تذكرت الآنسة **"آموري"** قائلة:

– لكنه عاد وقدحه بيده. أتذكر كذلك أنه شكا من الطعم؛ إذ وجده مرًا، في حين – إني أؤكد لك – أن البن من نوع جيد جدًا من أشهر محلات **"لندن"**. هذا المحل الذي لا يبعد كثيراً عن المحطة و... توقفت الآنسة **"آموري"** عن الكلام عندما فتح الباب ليدخل منه **"إدوارد رينور"** الذي تمتم:

– يبدو أني حضرت في وقت غير مناسب؟ المعذرة، كنت أود أن أتكلم مع السيد **"بوارو"**، بإمكاني أن أعود فيما بعد. قال **"بوارو"**:

– لا، لا، لقد انتهيت من استجواب الآنسة. فنهضت الآنسة **"آموري"**، وقالت وهي متجهة إلى الباب:

– أخشى من ألا أكون قد وافيتك بما فيه الكفاية. نهض **"بوارو"** بدوره وتقدمها. وفتح لها الباب، وقال مؤكداً:

– بالعكس يا آنستي، لقد وافيتني بما فيه الكفاية، وربما أكثر مما تتوقعين.

*****

الفصل الثالث عشر

بعد أن رافق "**بوارو**" الآنسة "**آموري**" حتى عتبة الباب، التفت إلى "**إدوارد رينور**" . وقال مشيراً إلى أحد المقاعد :

– حاليًّا يا سيد "**رينور**" ، هأنا كلي آذان مصغية لكي أستمع إلى ما تريد أن تقوله لي. جلس "**رينور**" وتطلع إلى "**بوارو**" :

– لقد أعلمني السيد "**آموري**" منذ قليل الخبر الخاص بالسيد "**كلود**" ، وسبب وفاته. إنه شيء مرعب يا سيدي. سأله "**بوارو**" :

– أمازلت متأثراً بهذه الصدمة؟

– أعتقد ذلك جيداً، لم أتصور قط حدوث أمر كهذا. اقترب "**بوارو**" من السكرتير دون أن يبعد نظره عنه، أراه المفتاح الذي وجده قائلاً:

– أسبق لك رؤية هذا المفتاح يا سيد "**رينور**"؟ تناول هذا الأخير المفتاح وقلّبه في يده وقد بدا دهشًا وحائراً:

– يمكن التأكد من أنه مفتاح خزانة السيد "**كلود**" . لكنني أعلم من السيد "**آموري**" أن مفتاح السيد "**كلود**" في مكانه على الكرسي. أعاد المفتاح إلى "**بوارو**" . قال "**بوارو**" مؤكداً:

– إنه بالتأكيد مفتاح الخزانة الموجودة في مكتب السيد "**كلود**"، لكنه نسخة منه. ثم أضاف بنبرة ذات معنى :

– نسخة وُجدت بجوار المقعد الذي كنت تجلس عليه مساء أمس. نظر "**رينور**" إلى المخبر بثبات، ثم أعلن:

– إذا اعتقدت أنني تركته يسقط على الأرض تكون مخطئًا يا سيدي. وقال "**بوارو**" :

– أصدقك. ثم ذهب إلى الأريكة وجلس عليها وهو يفرك يديه:

– والآن لنتابع عملنا. لقد كنت سكرتير السيد الخاص، أليس كذلك؟

– بالضبط.

– إذن، أنت تعرف الكثير عن أعماله؟

– نعم، إني على قدر معين من العلم، وعاونته في تجاربه.

– أعندك معلومات أو أي شيء كان يفيد في إلقاء الضوء على هذا الحدث الغامض؟ حينئذ أخرج من جيبه خطابًا، ثم أجاب وهو ينهض لكي يسلّمه إلى "**بوارو**":

– هذا فقط، ومن مسؤولياتي أن أفرغ البريد وأقوم بفرز رسائل وأوراق السيد "**كلود**". كان هذا الخطاب قد وصل منذ ثمانٍ وأربعين ساعة. تناول "**بوارو**" الخطاب وقرأه بصوت عالٍ:

– إنك تحمي حيّة في أحضانك هي ونسلها.. في أحضانك؟ قال "**بوارو**" ملتفتًا إلى "**هاستينجز**" وعلى وجهه علامات الاستفسار قبل مواصلة القراءة:

– خذ الحذر من "**سلمى جوتز**" ومن نسلها. لقد عُرف سرّك. احترس وانتبه جيداً. والإمضاء: شخص ساهر. مثل هذه المعلومة يا "**هاستينجز**" لا شك في أنها تعجبك. قال هذا ومدّ يده بالخطاب إلى صديقه. قال "**رينور**":

– إن ما أريد معرفته هو: من هي "**سلمى جوتز**"؟ شبّك "**بوارو**" أطراف أصابعه، وقال:

– أعتقد أن بإمكاني إرضاء فضولك يا سيدي. "**سلمى جوتز**" هي أكبر جاسوسة دولية مجهولة، لم تكتشف قط، بالإضافة إلى أنها جميلة جداً. لقد عملت لحساب "**إيطاليا**" و"**فرنسا**" و"**ألمانيا**". نعم، إنها شخصية خارقة هذه الـ"**سلمى جوتز**". تراجع "**رينور**" خطوة، وقال:

– كانت؟ قال "**بوارو**" مؤكداً:

– لقد توفيت في "**جين**" في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي. استعاد الورقة وفحصها، وهز رأسه وقد بدت الحيرة على ملامحه، وصاح "**رينور**":

– إذن هذا مجرد مزاحٍ سخيف. تمتم "**بوارو**":

– هذا ما أتساءله، إنه مكتوب "**سلمى جوتز**" ونسلها. لقد تركت "**سلمى جوتز**"، فتاة جميلة جداً. وهذه الفتاة اختفت تمامًا بعد وفاة والدتها، ثم أعاد الخطاب إلى جيبه، وبدأ "**رينور**" يتكلم:

– أمن الممكن أن... ثم توقف، وقال له "**بوارو**" مشجعًا إياه:

– نعم يا عزيزي، كنت تريد الإدلاء بشيء؟ اقترب "**رينور**" من المخبر، وبذلاقة لسان قال:

– خادمة السيدة "**آموري**" الإيطالية.. لقد اصطحبتها معها إلى "**إيطاليا**"، إنها فتاة رائعة الجمال... وتُدعى "**فيتوريا مورزيو**"، أمن الممكن أن تكون ابنة "**سلمى جوتز**"؟

– آه، لكنها فكرة ثمينة. هكذا قال "**بوارو**".

– اسمح لي بأن أرسلها إليك. هكذا قال "**رينور**" وهو يتأهب للخروج. نهض "**بوارو**" قائلاً:

– لا، لا، لحظة واحدة. أولاً وقبل كل شيء لا تزعجها، دعني أتحدث أنا أولاً مع السيدة "**آموري**" بالتأكيد عندها ما توافيني به عن هذه الابنة. أبدى "**رينور**" موافقته:

– قد تكون على حق. سأستدعيها فوراً. عندما انصرف اقترب "**هاستينجز**" من "**بوارو**" قائلاً:

– لقد وصلنا يا "**بوارو**". "**كاريللي**" والإيطالية يعملان لصالح حكومة أجنبية، ألست معي في هذا الرأي يا "**بوارو**"؟ من جانبه لم يبد "**بوارو**" أية التفاتة إلى صديقه؛ لأنه كان غارقًا في الأفكار.

– "**بوارو**". أنت لست معي في الرأي؟ كنت أقول لك إنه لابد أن "**كاريللي**" وهذه الفتاة يعملان معًا.

– أن تقول ذلك فهذا لا يدهشني لا قليلاً ولا كثيراً يا صديقي العزيز. شحب "**هاستينجز**" لهذه الطعنة، لكنه سأله:

– حسنًا، إذن ما رأيك الشخصي؟

– هناك العديد من الأسئلة تحتاج إلى إجابة يا "**هاستينجز**" لماذا سُرقت مجوهرات السيدة "**آموري**" منذ شهرين؟ ولماذا اعترضت على استدعاء الشرطة؟ لماذا... توقف فجأة لأن "**لوتشيا آموري**" دخلت، وحقيبتها في يدها.

– علمت أنك تريد مقابلتي يا سيد "**بوارو**"، هل هذا صحيح؟

– نعم يا سيدتي... أريد أن أوجه إليك بعض الأسئلة. قال هذا وقدم لها مقعداً بالقرب من المائدة:

– تفضلي بالجلوس. جلست بينما كان "**بوارو**" يلتفت إلى "**هاستينجز**". وقال:

– الحديقة رائعة من هذا الجانب. هكذا قال له مبتسمًا وموجهًا إياه نحو باب النافذة. كان القائد يبدو غير مستعدٍ لمغادرة المكان، لكن "**بوارو**" كان ملحًا في طلبه، فأردف قائلاً:

– رائعة يا صاحبي، سترى ذلك، تطلع إلى جمال الطبيعة ولا تفقد فرصة لن تتكرر. اضطر "**هاستينجز**" إلى أن يستسلم للخروج، ولما كان الجو حارًا – وقتئذ– ومشمسًا قرر الاستفادة من هذا الموقف لتفقد أملاك "**آموري**". ومخترقًا الخضرة، اتجه نحو حاجز من الأشجار ومن خلفه حديقة على الطراز الفرنسي.

في هذه الأثناء، ميّز أصواتًا قريبة أشبه بأصوات "**بربارا**" والدكتور "**كيني جراهام**". كان هذان الشابان يجلسان على مقعد على انفراد بالقرب من الحاجز. توقف على أمل الحصول على معلومة ما خلسة عن وفاة السيد "**كلود**" أو عن اختفاء ورقة نظريته العلمية.

– ... كل شيء واضح، إن ابنة عمه الجميلة قادرة على أن تنظر إلى أعلى من مستوى دكتور الريف هذا...، ولنضع في الاعتبار أنه غير مرحب بلقاءاتنا. هكذا كان يقول "**جراهام**"، وأضاف صوت "**بربارا**":

– أعلم جيداً أن "**ريتشارد**" الملتوي كفيل بالتصرف وكأنه شخص في عمر ثلاثة أضعاف عمره، المهم ألا تتأثر، عن نفسي أنا لا أبالي بما يمكنه أن يفكر فيه. أجابها "**جراهام**":

– حسنًا، سأحاول أن أعمل مثلك، لكن ليس هذا كل ما في الأمر، لقد طالبتك بالحضور هناك حتى أوافيك بكلام خاص. أولاً – يجب أن أعلمك بأن عمك مات مسمومًا مساء امس. قالت وهي تتثاءب:

– آه؟

– يبدو أن هذا الخبر لم يبعث إلى نفسك دهشة أو مفاجأة.

– بل لقد فوجئت، ومع ذلك، لا يحدث أن تتم حالة تسمم كل يوم، أليس كذلك؟ وأود أن أخبرك بأن وفاته لم تصبني بأي ألم، فهي بالنسبة إليّ تعتبر خبراً مؤسفًا، بل المفروض أنه يسرني.

– "**بربارا**"!

– هيا يا "**كيني**"، لا تتظاهر بالدهشة. ليتك لا تستطيع أن تحصي عدد المرات التي سمعتني فيها وأنا أردد ما هو أسوأ من ذلك عن هذا العجوز، فهو كان لا يحبنا ولا الآخرين، وكان لا يهتم إلا بأبحاثه. ولم يُبد أي ترحاب نحو "**لوتشيا**" عندما اصطحبها "**ريتشارد**" من "**إيطاليا**" بعد أن تزوجها. مع أنها مناسبة جداً له وجذابة.

– "**بربارا**" يا عزيزتي، ينبغي أن أوجه إليك سؤالاً. وأعدك بأن ما ستخبرينني به سيظل سرًّا بيننا وسأعمل على حمايتك إذا لزم الأمر، لكن أجيبيني، هل تعلمين شيئًا عن وفاة عمك؟ هل عندك أي مبرر للشك في أن "**ريتشارد**" مثلاً يمر بضائقة مالية، ففكر في التخلص من والده للاستيلاء على الثروة التي ستكون إرثًا له فيما بعد؟

– أنا لا أريد مواصلة هذا الحديث يا "**كينيث**"، ظننتك تصطحبني إلى هنا لكي تُسمعني كلمات عذبة وليس لاتهام ابن عمي بالاغتيال.

– أنا يا عزيزتي لا أتهم "**ريتشارد**" بشيء، لكن اعلمي أن في هذا الأمر عناصر تدعو إلى التفكير. إنه لا يريد أن يتم التحقيق والبحث الكافي عن مقتل والده. وكأنه يخشى ما قد يُكشف حينئذ. إنه في الواقع لا يستطيع بأية وسيلة منع الشرطة من التدخل، لكنه بدا ثائرًا ضدي عندما بدأت ألقي ضوءاً على الوفاة، وبذلك حرّكت عملية تقصي الحقائق. على أي حال، أنا لم أعمل أكثر من واجبي كطبيب... كيف أحرّر شهادة وفاة أذكر فيها أن السيد "**كلود**" توفي إثر أزمة قلبية؟ يا إلهي! عندما قمت بفحصه الدوري منذ عدة أسابيع كان قلبه سليمًا تمامًا.

- "**كيني**". لست مستعدة لسماع المزيد، سأعود. وأنت ستعرف كيف تخرج من الحديقة، أليس كذلك؟ إلى اللقاء.

- "**بربارا**"، إنك تعلمين أن كل ما أريده هو فقط... غير أن "**بربارا**" كانت قد انصرفت، وأطلق الدكتور "**جراهام**" زفيرًا قويًا. وفي أثناء ذلك، اعتبر "**هاستينجز**" أنه حصل على معلومة وأن عليه أن يعود إلى المنزل بحيث لا يراه أحد منهما أو من الآخرين أولئك المقاتلين.

الفصل الرابع عشر

في المكتبة لم يبدأ "**بوارو**" حديثه مع "**لوتشيا آموري**" إلا بعد أن دفع بـ"**هاستينجز**" إلى الحديقة وتأكد من إعادة غلق باب النافذة. بادرته "**لوتشيا**" بإلقائها عليه نظرة قلقة:

- أعتقد أني علمت أنك تريد استجوابي عن خادمتي يا سيد "**بوارو**". هذا على الأقل ما وافاني به السيد "**رينور**". أولاً إنها فتاة ممتازة وإني واثقة بأنه ليس هناك ما يمكننا لومها عليه. قال "**بوارو**":

- أنا لا أريد أن أتكلم عن خادمتك الخاصة يا سيدتي. انتقلت "**لوتشيا**" من حالة القلق إلى حالة الخوف، فقالت فوراً:

- لكن السيد "**رينور**".. قاطعها "**بوارو**" قائلاً:

- أعترف بأني حرصت على أن يفهم السيد "**رينور**" أنه بخصوص هذا الأمر لأسباب تخصني وحدي.

- وماذا تريد في هذه الحالة؟

- سيدتي الفاضلة، لقد بادرتني بالأمس بأجمل تحية ومن أول نظرة - إنها كلماتك حرفيًا - وضعت ثقتك بي.

- وبعد؟

- حسنًا، الآن أود أن تكرري لي ذلك.

- ماذا تقصد؟ قال:

– أنت شابة وجميلة ومحبوبة، لديك كل ما تتمناه أية سيدة، لكن ينقصك شيء واحد ألا وهو: أب روحي. ليتك يا "**لوتشيا**" تدعين الأب "**بوارو**" يقوم بهذا الدور. قالت:

– أفضل خدمة تقوم بها لي يا سيدي الفاضل هو أن تنصرف. قال "**بوارو**":

– أتعلمين أنه تم إبلاغ الشرطة؟

– الشرطة؟!

– نعم.

– لكن من الذي قام بذلك ولماذا؟ قال لها "**بوارو**" موضحًا:

– إنه الدكتور "**جراهام**" وزملاؤه الأطباء الذين حضروا عملية التشريح؛ لأنهم اكتشفوا أن السيد "**كلود**" مات مسمومًا.

– آه لا، لا. لا تقل هذا! كانت نبرتها تعبر عن الأسى أكثر من أن تكون دهشة.

– بلى يا سيدتي، هكذا بالضبط؛ لذلك فأمامك حاليًّا فرصة قليلة لتحديد أفضل طريقة تتصرفين بها. وهأنا حاليًّا في خدمتك؛ وفيما بعد سيكون الموقف في يد العدالة. أخذت "**لوتشيا**" تبحث في وجه "**بوارو**" عن علامة تساعدها على اتخاذ قرارها هل تثق به أم لا. سألته:

– ماذا تريدني أن أفعل؟ جلس "**بوارو**" في مواجهتها وتمتم محدّثًا نفسه قبل أن يبادرها بهدوء:

– لماذا يا سيدتي لا تصارحينني بالحقيقة؟

– أنا... أنا... هكذا بدأت. توقفت ثانية مترددة، ثم تقسّت ملامحها وقالت:

– في الحقيقة يا سيد "**بوارو**" إني أجد صعوبة في فهمك. فما كان منه إلا أن وجه إليها نظرة ثاقبة، ثم قال:

– إذن هكذا تعتزمين البدء في مقاومتك؟ وعندما تمالكت نفسها نسبيًّا، أعلنت:

– ليتك توافق على موافاتي بما تطلبه أو تنتظره مني، حينئذ سأجيب طوعًا عن جميع أسئلتك. صاح المخبر:

– إذن، هكذا تعتزمين استخدام كل ما عندك من حيل لمراوغة "**هركيول بوارو**"؟

كما يحلو لك، ومع ذلك اعلمي يا سيدتي أني سأتوصل إلى معرفة الحقيقة على الرغم من كل ذلك. قال هذا وضرب بيده على المنضدة، وأردف:

– لكن في النهاية لن تأتي النتيجة بما يرضيك. قالت "**لوتشيا**" بتحدٍّ:

– ليس لديّ ما ينبغي إخفاؤه. حينئذ أخرج "**بوارو**" من جيبه الخطاب الذي كان قد أعطاه له "**إدوارد رينور**" وناولها إياه:

– لقد تسلّم السيد "**كلود**" هذا الخطاب منذ عدة أيام. ألقت إليه نظرة خالية من أي انطباع، وسألته وهي تعيده إليه:

– وما تعليقك عليه؟

– هل سبق لك سماع اسم "**سلمى جوتز**"؟ أجابت:

– أبداً، من هي؟

– لقد توفيت في "**جين**" في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي.

– آه! قال "**بوارو**":

– ربما تكونين قد التقيت بها في "**جين**"؟

– لم أتواجد قط في حياتي في "**جين**".

– وإذا كان أحدهم قد أكد أنه رآك هناك؟

– قد يكون هذا الشخص مخطئاً. استمر "**بوارو**" بإصراره:

– مع ذلك يبدو لي أنك فهمت ذلك، ربما تقابلت مع زوجك في "**جين**".

– إنه "**ريتشارد**" الذي وافاك بذلك؟ يا له من غبي! لقد التقيت به في "**ميلان**".

– إذن، السيدة التي كنت معها في "**جين**"... قاطعته ثائرة:

– لقد أكدت لك أني لم أذهب قط إلى "**جين**". قال "**بوارو**":

– آه! آسف. نعم، لقد أكدت لي ذلك بالضبط؟ ومع ذلك إنه أمر عجيب...

– ما هو؟ حينئذ أغلق "**بوارو**" عينيه وتعمق في المقعد الذي يجلس عليه، ثم سُمع وهو يتمتم من بين شفتيه المغلقتين إلى النصف. تحرّك من مقعده ذي المسندين وأعلن:

– سأحكي لك قصة صغيرة. لي صديق يقدم بعض الصور الفوتوغرافية لبعض الصحف في "**لندن**". فهو يختار سيدات –كيف تقولون ذلك بالإنجليزية– من

الطبقة الراقية ممن يتواجدن في "**ليدودو فينيس**" ويترددن على سهرات مرحة في "**سكالادوميلان**"، وبهذه الصور يشغل باب الاجتماعيات. ثم فتش في جيبه قبل أن يواصل:

– في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي عند مرور هذا الصديق على "**جين**" تعرف إلى شخصية اجتماعية مشهورة نسبيًّا: البارونة "**دي جيير**" كما كانت تحب أن تنادى في تلك الحقبة، زوجة دبلوماسي فرنسي مشهور. كانت تتردد على الصالونات حيث تكثر الثرثرة، وهو ما يميل إليه زوجها؛ لأنه هو ذاته ثرثار أكثر من أن يكون متحفظًا وهو ما تريده، أتفهمين ذلك؟ توقف مبديًا شيئًا من السذاجة، وأردف:

– أرجو ألا أكون بذلك قد سببت لك ضيقًا يا سيدتي.

– لا بتاتًا، لكنني لا أرى هدفًا لهذه القصة. وواصل "**بوارو**" كلامه وهو يفحص ما بحافظة أوراقه:

– سأصل إلى هدفي يا سيدتي أؤكد لك. ولقد أطلعني صديقي على إحدى الخطط التي اتخذها. واتفقنا في الرأي: البارونة "**دي جيير**" جميلة جدًّا ولم ندهش لتصرفات الدبلوماسي.

– هذا كله.

– لا، لم تكن السيدة بمفردها، بل كانت تتنزه مع ابنتها وكانت هي أيضًا ذات جمال أخّاذ. ثم نهض وأعاد غلق حافظة أوراقه وانحنى باحترام:

– وجه لا شك في أني تعرفت إليه فور وصولي إلى هنا. نظرت "**لوتشيا**" إلى "**بوارو**" واشتد تنفسها للحظة. صاحت:

– أوه! ومع ذلك تمالكت نفسها في الحال وشرعت تضحك.

– يا لها من مفاجأة عجيبة يا سيدي العزيز! الآن أدركت سبب توجيهك إليَّ كل هذه الأسئلة: إني أتذكر جيدًا البارونة "**دي جيير**" وكذلك ابنتها التي لم تكن جذابة، لكنني كنت معجبة بـ "**البارونة**" وكثيرًا ما تنزهت معها. لا شك في أن أحدهم اعتبرني ابنة هذه المخلوقة. قالت هذا وتعمقت في مقعدها. حكّ "**بوارو**" رأسه ببطء بحركة تبعث على الارتياح عند "**لوتشيا**"، لكن فجأة استند "**بوارو**"

بقبضتي يديه إلى المائدة ومال إليها، وقال:

– أنا من صدمت؛ لأنك لم تذهبي قط إلى "**جين**"! وعندما باغتها فجأة شعرت "**لوتشيا**" بضيق في التنفس. ورأت "**بوارو**" وهو يعيد الحافظة إلى جيب سترته الداخلي. قالت بما هو يشبه السؤال والإثبات:

– لا وجود لصورة معك؟

– لا، ليست معي صورة، كنت أعرف الاسم الذي كانت "**سلمى جوتز**" تُعرف به في "**جين**"، والباقي كان من اختراعي. انتصبت "**لوتشيا**" ثائرة، وصاحت:

– لقد نصبت لي فخًّا. هزّ "**بوارو**" كتفيه، وأردف مؤكداً:

– نعم، لم يكن أمامي سوى جعلك تقعين فيه. أخذت تتطلع حولها وهي تتمتم كمن تحدّث نفسها:

– أية صلة لكل ذلك بوفاة السيد "**كلود**"؟ عوضا عن أن يجيب "**بوارو**" عن سؤالها، وجه "**بوارو**" سؤالاً آخر متظاهراً باللامبالاة. قام بحركة وكأنه نفض غباراً وهميًّا من على ياقة سترته، وقال:

– سيدتي، أحقًّا فقدت عقداً ألماسيًّا منذ فترة مضت؟ قالت مرة أخرى من بين أسنانها.

– وما صلة ذلك بموت السيد "**كلود**"؟ تحدث "**بوارو**" ببطء دون مغالاة:

– أولاً – سرقة عقد من الألماس، ومن بعده نظرية علمية سريّة تُسرق كذلك.. وكل منهما يعود بمبالغ طائلة.

– ماذا تقصد؟

– أقصد يا سيدتي أنني أريدك أن تجيبيني عن ذلك. بكم طالب الدكتور "**كاريللي**" في هذه المرة؟ أدارت "**لوتشيا**" وجهها، ثم تمتمت:

– أنا... أنا.. أنا لن أجيب عن أي سؤال. سألها "**بوارو**" وهو يقترب منها:

– لأنك خائفة؟ التفتت إليه ثانية ملقية برأسها إلى الخلف بوضع تحدٍّ، ثم قالت:

– لا، لست خائفة. غاية ما في الأمر أني أجهل ما تتكلم عنه. لماذا سوف سيطالبني الدكتور "**كاريللي**" بمبلغ ما؟ قال "**بوارو**":

– ثمنًا لتكتمه الأمر. إن آل "**آموري**" يعتزون بلقبهم ومستواهم الاجتماعي،

وبالتالي تعملين بلا شك على ألا يعلموا أنك.. ابنة "**سلمى جوتز**"ودون أن تجيب تفرّست "**لوتشيا**" في "**بوارو**" بعينين يصدر عنهما الشرر، ثم سقط كتفاها وسقطت على مقعد بلا أي مسند واضعة رأسها بين يديها. وبعد لحظة، رفعت عينيها وهي تتنهد، وتمتمت:

– هل "**ريتشارد**" على علم بذلك؟ أجابها "**بوارو**" بصوت خافت:

– إنه لا يعرف شيئًا حتى الآن يا سيدتي. وبنبرة يأس توسلت إليه قائلة:

– لا تخبره بذلك يا سيدي. لا تخبره بذلك لأنه يعتز بأصله، وكم هو غيور على شرفه وكرامته. لقد أخطأت بزواجي به، لكنني كنت بائسة! كنت وقتئذ أمقت هذه الحياة، تلك الحالة التي كنت أتبعها بالقرب من والدتي. لم أشعر بأني تحرّرت إلا بعد وفاة والدتي. حرة لكي أحيا شريفة. حرة بالتخلي عن هذه الأكاذيب والحيل التي كنت مجبرة على اتباعها. قابلت "**ريتشارد**" وكان الحدث الرائع الذي لم أصادفه قبل الآن. دخل حياتي وأراد أن يتزوجني، وكيف وقتئذ أصارحه من أنا؟ ولماذا كنت أفعل ذلك؟ وبهدوء، قال "**بوارو**":

– وحينئذ عرفك "**كاريللي**" وبدأ مساومته.

– نعم، لم يكن عندي مال خاص؛ لذلك بعت العقد الألماسي وأعطيته المبلغ الذي حصلت عليه؛ اعتقاداً مني أني وضعت حدًّا للأمر. إن غاية ما في الأمر أنه نزل هنا بالأمس وكان قد سمع عن اكتشاف السيد "**كلود**".

– وأراد أن تسرقيه له؟ أطلقت زفيراً وقالت:

– نعم. اقترب "**بوارو**" منها أكثر وهمس إليها:

– ونفّذت ذلك؟ تمتمت وهي تهز رأسها بحزن:

– حاليًّا لن تصدقني. تأمل "**بوارو**" هذه السيدة الرائعة بإشفاق، وقال:

– بلى، بلى يا بنتي. من الممكن أن أصدقك. تشجعي وضعي ثقتك ببابا "**هركيول بوارو**"، اتفقنا؟ أخبريني بالحقيقة، هل سرقت اكتشاف السيد "**كلود**"؟ صاحت بانفعال:

– لا، لا، لم أقم بذلك. كان "**كاريللي**" قد عمل نسخة من مفتاح الخزانة على بصمة منحته إياها. أخرج "**بوارو**" مفتاحا وأراه لها:

– هذا؟ قالت بعد أن نظرت إلى المفتاح:

– نعم، كل شيء كان سهلا. "**كاريللي**" أعطاني هذا المفتاح. كنت في المكتب متدرعة بالشجاعة لفتح الخزانة، وعندما دخل السيد "**كلود**" مصادفة وجدني هناك، إنها الحقيقة. اقسم لك بذلك. قال "**بوارو**":

– إني واثق بكلامك. ثم أعاد المفتاح إلى جيبه واتجه إلى المقعد ذي المسندين وجلس مشبكًا أطراف أصابعه وفكر لحظة، ثم قال:

– لكن لماذا وافقت بسرعة على فكرة السيد "**كلود**" بإطفاء الأنوار؟ وضحت "**لوتشيا**":

– لأني كنت لا ارغب في أن يتم تفتيشي؛ إذ إن "**كاريللي**" كان قد أعطاني رسالة مع المفتاح وكلاهما كانا في جيب فستاني. سألها "**بوارو**":

– ماذا فعلت بهما؟ قالت مشيرة إلى المقعد الذي كان "**إدوارد رينور**" يجلس عليه ليلة أمس:

– عندما أُطفئت الأنوار ألقيت بالمفتاح بعيداً عن مقعدي بقدر الإمكان هناك. واصل "**بوارو**":

– ورسالة "**كاريللي**"؟

– عجزت عن معرفة كيف أتصرف بها. نهضت واتجهت نحو المنضدة وأردفت:

– أخفيتها بين صفحات كتاب. تناولت الكتاب الموجود على المنضدة وبدأت تقلب صفحاته. أخرجت قطعة ورق من بين صفحاته وأعلنت:

– نعم، أتريد أن تقرأها؟

– لا يا سيدتي، إنها لك. جلست "**لوتشيا**" على مقعد بجوار المنضدة ومزّقت الرسالة إلى ألف قطعة ووضعتها في حقيبة يدها. لاحظها "**بوارو**" وهي تقوم بذلك، ثم سألها:

– تفصيل آخر يا سيدتي، هل مزّقت فستانك مساء أمس؟ أجابت دهشة:

– أنا؟ لا!

– في خلال فترة الظلام، هل سمعت صوت تمزيق نسيج، قماش؟ فكرت "**لوتشيا**" لثوانٍ، وأخيراً قالت:

– نعم، لكنه ليس فستاني، قد يكون فستان الآنسة "**آموري**" أو "**بربارا**" .

– حسنًا، ليتنا لا نهتم بذلك، لننتقل إلى أثر آخر، من الذي صبّ قهوة السيد "**كلود**" ؟

– أنا .

– ووضعت القدح بجوار قدحك؟

– نعم. ثم نهض ومال إلى "**لوتشيا**" وسألها:

– في أي قدح وضعت "السكوبولامين" ؟ تفرّست فيه دهشة، ثم تلعثمت:

– كيف عرفت؟

– إنها مهنتي، عملي الذي أقوم به، في أي قدح يا سيدتي؟ أطلقت زفيرًا، وقالت:

– في قدحي.

– لماذا؟

– لأني كنت أريد أن... أن أموت؛ إذ كان "**ريتشارد**" يشك في وجود علاقة بيني وبين "**كاريللي**" . وكان هذا بعيدًا عن الحقيقة. كنت أمقت "**كاريللي**" وسأكرهه دائمًا. ولما فشلت في منحه ورقة الاكتشاف الخاصة بالسيد "**كلود**" كنت واثقة بأنه سيكشف لـ "**ريتشارد**" كل شيء عني. وأن أنتحر كانت الوسيلة الوحيدة التي تخرجني من هذا المأزق... مخرجي الوحيد. هذا ما كان قد قاله.

– من قال لك هذا؟

– الدكتور "**كاريللي**" . تمتم "**بوارو**" :

– بدأت أفهم الآن... نعم، بدأت أفهم. ثم أشار إلى قدح مازال موجودًا على المنضدة، وأردف:

– في هذه الحالة هذا هو قدحك؟ قدح مليء لم تشربي شيئًا منه؟

– نعم.

– ما الذي دفعك إلى تغيير رأيك؟

– حضور "**ريتشارد**" ليتحدث معي. قال لي وقتئذٍ إنه يريد أن يصطحبني إلى بعيد، إلى الخارج وإنه سيتصرف للحصول على المبلغ اللازم لذلك. بهذا أعاد

إليَّ... الأمل. قال المخبر بنبرة جادّة:

– والآن اسمعيني جيداً يا سيدتي، صباح اليوم أخذ الدكتور "**جراهام**" معه الفنجان الذي كان بجوار مقعد السيد "**كلود**".

– نعم؟

– زملاؤه الأطباء سيعملون إذن على رفع آثار القهوة ليس إلا، أليس كذلك؟ أجابت وهي تنظر إلى أسفل:

– بالتأكيد.

– إننا، أنت وأنا، متفقان معًا على هذه النقطة، أليس كذلك؟ ألقت "**لوتشيا**" نظرة شاردة أمامها ولم تجب، ثم رفعت عينيها نحوه، وصاحت:

– لماذا تتفرّس فيّ هكذا؟ إنك تخيفني. كرّر "**بوارو**":

– لقد قلت إنهم حملوا القدح معهم، القدح الذي كان موجوداً بجوار مقعد السيد "**كلود**" صباح اليوم. لو افترضنا أنهم كانوا قد أخذوا، بدلاً منه، القدح الذي كان موجوداً بجوار مقعده مساء أمس؟ ثم اتجه نحو المنضدة المجاورة للباب وأخرج قدحًا من تحت غطاء إناء، وأردف:

– هذا مثلاً! نهضت "**لوتشيا**" على التو ووضعت يديها على وجهها، وقالت لاهثة:

– هل تعلم؟ اقترب منها "**بوارو**"، وقال بصوت عادت نبرته جادة وقاسية:

– سيدتي، إن القدح في حيازتهم. سيعملون على تحليل القهوة، إذا كانوا قد قاموا بذلك فلن يجدوا... شيئًا. لكنني في هذه الليلة أخذت بعض النقط من القهوة الموجودة في قاع القدح الأصلي. وماذا تقولين إذا أخبرتك بأنه كانت توجد مادة "السكوبولامين" فيما شربه السيد "**كلود**"؟ حينئذ ترنحت "**لوتشيا**" وكأنها صُعقت، ثم تمالكت نفسها وصمتت برهة، وأخيراً تمتمت:

– إنك على حق. كل شيء يوضح أني قتلته. وارتفع صوتها حتى وصل إلى الصراخ:

– لقد قتلته! لقد وضعت "السكوبولامين" في قدحه. ثم اتجهت إلى المنضدة وتناولت القدح المليء، وقاربته من شفتيها، لكن "**بوارو**" أسرع وحال دون شربها إياه وهو يصيح:

– يا سيدتي! تفرّس كل منهما في الآخر وكأنه يرغب في سبر أغوار نفسه، ثم اخترطت "**لوتشيا**" في النحيب. أخذ "**بوارو**" القدح من بين يديها وأعاده إلى المائدة، تمتمت:

– لماذا منعتني من الانتحار؟ أجابها "**بوارو**":

– الدنيا جميلة، جميلة جدًّا. لماذا ترغبين في مغادرتها؟

– أنا... آه!ثم انهارت وسقطت على الأريكة وهي تنتحب. وعندما عاد "**بوارو**" إلى حديثه جعل نبرته رقيقة وحارة:

– لقد أخبرتني بالحقيقة، وإنك وضعت في قدحك "السكوبولامين"، وأنا أصدقك، لكن كان هناك قدح آخر به نفس المادة. إذن، وافيني بالحقيقة مرة أخرى. من الذي وضع "السكوبولامين" في قهوة السيد "**كلود**"؟ حينئذ صاحت "**لوتشيا**" بطريقة هستيرية:

– لا، لا، إنك مخطئ. هو لم يفعل شيئًا. أنا من قتلته. أمرها "**بوارو**":

– أخبريني من هذا الـ "هو" الذي لم يفعل شيئًا؟ انتحبت بقوة وكررت:

– أؤكد لك أنه لم يفعل شيئًا. سمع صوت قرع على الباب، قال "**بوارو**" متوقعًا:

– قد تكون الشرطة! لا يبقى أمامنا سوى القليل من الوقت. سأقدم لك وعدين يا سيدتي، الأول سأنقذك. صاحت "**لوتشيا**" بصوت أعلى:

– لكنني أخبرتك بأنني أنا التي قتلته. واصل كلامه:

– الوعد الثاني. سأنقذ زوجك. اختفت وهي تلقي إليه نظرات الفزع قائلة:

– آه! حينئذ ظهر كبير الخدم "**تريدويل**" على عتبة الباب وتوجه إلى "**بوارو**" معلنًا:

– سيادة المفتش "**جاب**" من "**سكوتلانديارد**".

*****

الفصل الخامس عشر

بعد ربع ساعة، كان المفتش "**جاب**" بمعاونة الضابط الشاب "**جونسون**" قد انتهى من تفتيش الحجرة. تذكر "**جاب**" - المتوسط في العمر - الوقت الذي كان قد قضاه مع "**بوارو**" و"**هاستينجز**" الذي عاد من عزلته في الحديقة في تلك اللحظة. بدأ كلامه متوجها إلى رجل الشرطة محاولاً التحدث بلهجة فرنسية قائلاً:

- إن علاقتنا - السيد "**بوارو**" وأنا - ترجع إلى زمن بعيد، فهو كان منتمياً إلى الشرطة البلجيكية عندما عملنا معًا للمرة الأولى، وكانت وقتئذ عملية خاصة لـ"**أبركرومبي**" - إنها حكاية زائفة - أليس كذلك يا "**بوارو**"؟ كنا يومئذ قد قبضنا عليه في "**بروكسل**". آه! حقًا كانت أيامًا تتسم بالبطولة. وهل تتذكر البارون "**آلترا**"؟ هذا الذي هرب من نصف رجال شرطة "**أوربا**"، لكننا تمكنا من القبض عليه في "**آنفير**" وكان ذلك بفضل السيد "**بوارو**" الحاضر هنا. ثم تحول عن "**جونسون**" لكي يتوجه إلى "**بوارو**"، وقال:

- التقينا ثانية في "**إنجلترا**"، أليس كذلك؟ وكنت وقتئذ قد أحلت إلى المعاش. كنت يومئذ قد عملت على حل موضوع "**ستايلز**" الغامض، هل تتذكر؟ أعتقد أن آخر مرة اشتركنا فيها كانت منذ عامين. قصة هذا البارون الإيطالي في "**لندن**". كم يسعدني لقاؤك! وبعد حديث الذكريات والمداعبات المألوفة بين رجال الشرطة، سأل الشرطي "**بوارو**":

- من هذه السيدة "**آموري**" التي كنت تتحدث معها عند وصولي؟ إنها صغيرة وتتمتع بنصيب من الجمال. أهي زوجة "**ريتشارد آموري**" على ما أعتقد؟ لكن أراهن أننا لم نزعجك. يا لك من وغد عجوز! ثم ضحك بصوت كالرعد وهو يجلس على مقعد بجوار المنضدة، وواصل:

- على أي حال، هذا النوع من القضايا هو الذي يناسبك تمامًا، في حين أني أنفر من قصص الوفيات بالتسمم؛ إذ ليس فيها ما نستند إليه. لابد من الوصول إلى ماتناوله الشخص من طعام وكذلك ما شربه، ومن الذي قدمه، وجدير بي أن أعترف بأن الدكتور "**جراهام**" نجح في إلقاء الضوء على الموقف. فهو يقول إنه تم وضع السم

في القهوة. وسنعرف المزيد بعد نتيجة التحليل، لكن أعتقد أننا حصلنا على ما فيه الكفاية لكي نواصل ونتقدم في بحثنا. انتصب وأردف:

– حسناً، الآن وقد انتهيت من هذه الحجرة، يجب الآن أن يكون لي لقاء مع السيد "**ريتشارد آموري**" ومن بعده الدكتور "**كاريللي**". ثم اتجه نحو الباب، وتابع:

– أنت آت معي يا "**بوارو**"؟ لحق به هذا الأخير وأجابه:

– سأرافقك بالتأكيد. ثم قال "**جاب**" ضاحكًا:

– وكذلك القائد "**هاستينجز**"، إنه يلازمك دائمًا مثل ظلك وأراهنك على ذلك. فالقى "**بوارو**" نظرة قد تكون آمرة إلى صديقه:

– أعتقد أن "**هاستينجز**" يفضل البقاء هنا. وإذ أدرك "**هاستينجز**" مرامه قال بطريقة آلية:

– نعم، نعم أفضل. ودون أن يفكر في إخفاء دهشته قال "**جاب**":

– كما تشاء. وخرج "**بوارو**" معه، يتبعهما الشرطي الشاب. وبعد لحظات، دخلت "**بربارا آموري**" – وكانت ترتدي بلوزة بلون وردي وبنطلونًا بلون فاتح – من الحديقة عن طريق باب النافذة، وقالت:

– آه! إنه أنت؟ أخبرني ما الذي باغتنا على هذا النحو؟ هكذا سألت "**هاستينجز**" وهي تجلس على الأريكة، وتابعت:

– الشرطة؟ أجابها:

– نعم. ثم جلس بجوارها، وأردف:

– إنه المفتش "**جاب**" من "**سكوتلانديارد**". لقد توجه للقاء ابن عمك واستجوابه.

– وهل سيرغب في استجوابي أنا كذلك؟ أتظن ذلك؟ أكد لها "**هاستينجز**":

– لا أعتقد، ولكن حتى لو أراد القيام بذلك فلن يحدث ما يسبب لك أي قلق. أعلنت "**بربارا**":

– أنا لست قلقة، بل في الواقع إني أرى في ذلك نوعًا من الإبداع، لكن ربما سأضخم الأمور قليلاً، مسألة ترك أثر عميق. إني أعشق ترك الأثر، وأنت؟ شعر "**هاستينجز**" بالحرج وقال:

– أنا... هيه... لا أدري. لا، لا أعتقد أني أميل إلى ترك أثر. ألقت إليه

"**بربارا**" نظرة من زاويتي عينيها، وقالت:

- هل تعلم، إنك شغلت بالي. من أين أنت وافد؟

- لقد قضيت عدة سنوات في "**أمريكا الجنوبية**"، لكن قبل ذلك... صاحت:

- كنت سأتراهن على ذلك؟ وضعت يدها أعلى عينيها وأجرت حركة دائرية واسعة بذراعها كمن تمسح الأفق، ثم قالت:

- يا لاتساع الفضاء والمساحات الشاسعة... لذلك أنت مجرد لعبة قديمة مضى زمانها. وفي هذه المرة قد بدا "**هاستينجز**" مطعونًا، وقال بجفاف:

- لقد آلمتني بذلك. وضّحت:

- إني أعشق ذلك، إني أجدك حقًّا ساذجًا جدًّا.

- ماذا تقصدين بالضبط بلعبة قديمة؟

- حسنًا، إني متأكدة أنك تثق بكل الأفكار البالية، مثل: المجاملات وعدم الكذب عدا إن كان لسبب قوي يدفع إلى ذلك، ومثل: تجرّع الإهانات وتصديق كل شيء. أيّد "**هاستينجز**" كلامها وقال:

- تمامًا، وأنت؟

- أنا؟ هل تتصور مثلاً أني سأعمل على جعل وفاة العم "**كلود**" مأساة تغرقني في الأحزان؟

- أليست هكذا؟ صاحت:

- أعشقك. ثم نهضت واعتلت مسند الأريكة، وقالت:

- بالنسبة إليّ إنه أروع حدث. ليست لديك أدنى فكرة عن الظروف التي كان يفرضها علينا هذا الشره العجوز. ثم صمتت وقد تحرّكت أحاسيسها.

- أنا... أنا لا أود أن.. هكذا بدأ "**هاستينجز**" وقد شعر بالحرج. قاطعته قائلة:

- ألا تحب الصراحة؟ هذا هو اعتقادي، أكنت تفضل أن أرتدي ملابس الحداد أفضل مما أرتديه حاليًّا وأن أعمل على رثاء هذا العم "**كلود**" المسكين الذي كان يبدي كل مودّة لجميع أفراد أسرته؟! صاح:

- وبعد.. واصلت:

- لا داعي إلى أن أخدع نفسي. أعلم يقينًا أنك لو كنت في نفس الموقف لعرفت

أكثر مني لكن بالنسبة إليّ أزعم أن الحياة قصيرة جدًّا ولا ينبغي أن نفقدها في هذه الأكاذيب وفي كل هذه المظاهر الخادعة، لم يكن العم "**كلود**" طيبًا البتة نحو أسرته، وإني لواثقة بأننا جميعًا مبتهجون من أعماقنا لوفاته. بما فينا العمة "**كارولين**" المسكينة. كم احتملته، أكثر منا كلنا. هدأت "**بربارا**" فجأة. وعندما عادت إلى الحديث جعلت نبرتها وديعة، وقالت:

– هل تعلم، لقد فكرت في أن من الممكن أن تكون عمتي "**كارولين**" هي التي قتلته مسمومًا... وأستبعد احتمال إصابته بأزمة قلبية. تخيل ببساطة ردة فعل تصرفه الشاذ وضغوطه على العمة "**كارولين**". من الممكن أن تكون قد ترسبت عندها عقدة وأنها.. قال "**هاستينجز**" بتحفظ:

– أصدق نظريًّا أن يكون احتمالك صحيحًا.

– مقابل ذلك، إني لأتساءل من الذي تمكن من الاستيلاء على بحثه العلمي؟ جميع الأنظار متجهة نحو أولئك الإيطاليين، لكني أشك في "**تريدويل**".

– رئيس خدمكم؟ يا إلهي! لكن لماذا؟!

– لأنه لم يقترب قط من المكتب. قال "**هاستينجز**" دهشًا:

– ومن ثمَّ؟ صارحت "**هاستينجز**" قائلة:

– لديَّ بعض الشواهد التي تدفعني إلى ذلك، لقد تعلمت أن الشخص الأكثر تحفظًا هو موضوع الشك. وهو ما يُلاحظ في كل حالات الحوادث البوليسية. ومن ينطبق عليه ذلك هو "**تريدويل**". قال مازحًا:

– ربما من بعدك.

– آه! أنا... حينئذ ابتسمت "**بربارا**" وابتعدت عنه، وقالت:

– يا لها من غرابة. نهض "**هاستينجز**" بدوره وسألها:

– ما الذي تجدينه عجيبًا؟

– ما كنت أفكر فيه حاليًّا. هيّا بنا نخرج إلى الحديقة، إنني غير مستعدة للبقاء في هذه الحجرة أكثر من ذلك. قالت هذا واتجهت نحو باب النافذة. قال "**هاستينجز**":

– لكني أخشى ألا أتمكن من اتباعك.

– لماذا؟

– لا ينبغي – هذا ما فهمته – أن أغادر هذه الحجرة. وهنا علّقت "**بربارا**" قائلة:

– هل تعلم، بالنسبة إلى هذه الحجرة – كما تقول – أشعر بأنك توليها اهتماماً خاصًّا، أتتذكر مساء أمس؟ كنا كلنا هنا، منزعجين من حدث ضياع نظرية – أو على الأصح – اختراع السيد "**كلود**"، وإذا بك تدخل لكي تنقلنا من المأساة إلى فكاهة المجلس، عندما أعلنت – وكأن شيئًا لم يحدث – "يا لها من مكتبة رائعة ياسيد "**آموري**"". ثم وصولك بصحبة هذه الشخصية التي تبدو ذات كرامة عالية، وأنت، آه! تبدو مرحًا إلى أقصى حد. قال "**هاستينجز**":

– أعترف بأن لـ "**بوارو**" شخصية ذات انطباع يوحي بأنه جدير بكل إجلال وأنه مرن، كما أنه كفيل بإظهار حبه المبالغ فيه للنظام. مثل مشاهدة أو ملاحظة أن تمثالاً صغيراً للزينة ليس موضوعًا في مكانه أو ذرة غبار أو هندام غير منسق. قالت وهي تضحك:

– أراكما متناقضين. وواصل "**هاستينجز**" قائلاً:

– "**بوارو**" له أسلوب خاص وخطة معينة في عمله الذي يقوم به هل تعلمين ذلك؟ دستوره هو النظام. والنظرية، كما أنه لا يهتم بالمؤثرات المادية مثل رماد السجائر. أتفهمين ما أقصده؟ لأنه يؤكد أن مثل هذه لا تساعد أي مخبر على حل مشكلة غامضة. إن رأسه الذي يعمل وفقًا لقدراته الفكرية الخاصة.

– أعترف بأنه ساذج مثلك، ليس بقدر سذاجتك حين قلت: "يا لها من مكتبة رائعة!". قال "**هاستينجز**" مؤكداً قوله:

– لكنها حقًّا رائعة! قالت "**بربارا**":

– أنا شخصيًّا لا أراها على هذا النحو. ثم أمسكت بيده محاولة جذبه نحو باب النافذة المفتوح، وقالت له:

– إن لك فترة طويلة هنا. هيا تعال. فقال "**هاستينجز**" وهو يسحب يده من يديها:

– إنك تجهلين السبب.. لقد وعدت "**بوارو**".

– لقد وعدت "**بوارو**" بعدم تركك هذه الحجرة؟ لماذا؟

ـ هذا ما لا أستطيع مصارحتك به. قالت "**بربارا**" بعد لحظة صمت:

ـ آه! ثم غيّرت من وضعها وأسلوبها. مرت من خلف "**هاستينجز**" وقالت بنبرات مسرحية:

ـ كان الشاب واقفًا على جسر السفينة على نار...

ـ المعذرة؟

"... الذي كان الجميع قد غادروه عدا هو". إنه الشجاع "**فيليشيا همانز**". يالها من شاعرة! إذن، ما رأيك يا حبيبي؟

ـ إني عاجز حقًّا عن فهمك.

ـ لماذا تعتبر نفسك مضطرًّا إلى تنفيذ ذلك؟ إنك حبّوب. قالت هذا وهي تضع ذراعها تحت ذراعه أي وهي تتأبطه، وأردفت:

ـ تعال واستسلم إني أجدك لا تُقاوم.

ـ إنك تدفعينني إلى السير.

ـ لا بالمرة، لقد عشقتك. إنك جوهرة نادرة. إنك من مخلفات الماضي الثمينة. قالت هذا وجذبته نحو باب النافذة، وفي هذه المرة خضع "**هاستينجز**" لضغط ذراعها عليه، وتمتم:

ـ إنك حقًّا فتاة مختلفة تمامًا عن كل اللاتي تقابلت معهن.

ـ كم أسعدني سماع هذه الكلمات! قالت هذا وهما عند فتحة باب النافذة.

ـ علامة طيبة؟

ـ لا شك في ذلك. بعد مثل هذه المصارحة، من حق أية فتاة أن تأمل في كل شيء. خجل "**هاستينجز**" وقادته "**بربارا**" إلى الحديقة.

الفصل السادس عشر

بعد أن اختفيا في الحديقة، لم تبق المكتبة خاوية. فبعد قليل، فُتح باب القاعة لتدخل الآنسة "**آموري**" حاملة حقيبة صغيرة بها بعض الأشغال اليدوية التي تقوم بها. اتجهت نحو الأريكة، ووضعت حقيبتها ثم جثت وأخذت تتحسس بين

الوسائد... في هذه الأثناء، دخل الدكتور "**كاريللي**" من الباب الآخر وقبعته بيده، وأيضًا، حقيبة سفر صغيرة. توقف عندما رأى الآنسة "**آموري**" ونطق بكلمة يطلب بها العفو عن دخوله هذا. نهضت الآنسة المحترمة بعد أن وجدت إبرة التريكو التي كانت تبحث عنها. قالت وهي تلوّح بالإبرة:

– كنت قد فقدت إبرة تريكو وهأنا قد وجدتها. كانت خلف الوسادة. هل اعتزمت الرحيل يا دكتور "**كاريللي**"؟ قالت ذلك لأنها لمحت متاعه. وضع القبعة وحقيبة السفر على المقعد، ثم قال:

– أخشى من أن أطيل عليكم فترة استضافتي. ظاهريًّا كانت الآنسة "**آموري**" مبتهجة، وتمكنت مع ذلك من إبداء المودة:

– بالتأكيد، آه! كان هذا شعورك.. ثم تذكرت الظروف التي من أجلها أتى شاغلو المنزل.

– لكني أعتقد أن هناك بعض الإجراءات لم... ثم توقفت فجأة. قال مؤكدًا لها:

– آه! لقد تم كل شيء.

– إذن، إذا كنت تفكر في أنه ينبغي أن ترحل...

– حتمًا.

– إذن سأطلب لك سيارة. هكذا أردفت الآنسة "**آموري**" وهي تتجه نحو الجرس الموجود بجوار المدفأة. منعها "**كاريللي**" قائلاً:

– لا. لا، لقد تم تدبير كل شيء.

– لكن هانت اضطررت إلى إنزال حقيبتك بنفسك. آه من الخدم! أين خدمتهم؟ وأين إحساسهم بمسؤولياتهم؟ ثم عادت إلى الأريكة وأخرجت شغل التريكو من حقيبتها وقالت:

– لم يعودوا مهتمين بعملهم يا دكتور "**كاريللي**". وليس هناك من يحل محل الآخر، عالم غير مبالٍ، أليس كذلك؟ أجابها:

– إنها حقيقة. ثم أبدى قلقه، ملقيًا نظرات معبرة نحو التليفون. بدأت الآنسة أعمال التريكو مستمرة في التحدث دون توقف عن أمور لا قيمة لها. قالت:

– أعتقد أنك ستلحق بقطار الثانية عشرة والربع، على ما أعتقد. لا تنصرف في الموعد بالضبط. لا أقول هكذا لأني أريد أن أعجّل بمغادرتك لنا، إنما قصدي بعيد عن ذلك كل البعد.

– هذا وضع طبيعي، لكن ما زال أمامي الوقت الكافي، أعتقد ذلك. كنت أتساءل ما إذا كان بإمكاني استعمال التليفون؟ رفعت الآنسة "**آموري**" عينيها لحظة، وقالت له:

– آه، بالتأكيد. هكذا أبدت له موافقتها دون أن تتوقف عن شغل التريكو ودون أن تبدي استعدادها لتحقيق ما كان يتمناه وهو أن يتكلم هاتفيًا على انفراد. أجاب قائلاً:

– شكراً. اتجه بعد ذلك نحو المكتب وتظاهر بأنه يبحث عن رقم في الدليل ملقيًا نظرة قلقة على الآنسة "**آموري**"، ثم قال لها:

– أعتقد أن ابنة أخيك كانت تبحث عنك. وجدت الآنسة "**آموري**" في ذكر "**بربارا**" ابنة أخيها فرصة لكي تتحدث عنها دائماً مع الاستمرار في شغل التريكو صاحت:

– ابنتي العزيزة! إنها رائعة! هل تعلم أن حياتها ليست مفروشة بالورد، إنها حياة رتيبة بالنسبة إلى شابة في مثل سنها. أخيراً –كلام بيننا – ليس من المستحيل أن يتبدل الموقف رأسًا على عقب من الآن فصاعداً. توقفت لحظات بعد هذه الفكرة قبل أن تواصل:

– ليس لأني قمت بكل ما كان بوسعي أن أعمله، لكن ما تحتاج إليه الشابة هو قليل من المرح. إن كل مباهج الدنيا لا تعوض ذلك أبداً. في هذه الأثناء، كانت قسمات وجه "**كاريللي**" تعبر عن الحيرة حيرة ممزوجة بضيق يشتد من لحظة إلى أخرى.

– مباهج الدنيا (لم يتمكن من الاستفسار عن معنى هذه الكلمة)، نعم، مباهج الدنيا أولى يا سيدي. يجب أن أفهم مباهج الدنيا تلك جيداً وأضعها دائماً في الاعتبار. أتعلم أن فيتاميناتي (مباهج الدنيا الآن) هي المدونة على العلبة: (أ – A)، (ب – B)، (ج – C)، (د – D) وكلها موجودة، عدا الفيتامين الذي

يمنع الإصابة بمرض "**البوري بري**"، لكني لا أعتقد أنه من الممكن التعرض لهذا المرض في "**إنجلترا**". هذا المرض غير موجود في أقاليمنا؛ لأن مصدره البلاد غير المتقدمة. لقد شجعت السيد "**رينور**" على تناوله يوميًا بعد وجبة الإفطار؛ لأن هذا المسكين كان شاحبًا. حاولت أيضًا إقناع "**لوتشيا**" بأخذه لكنها رفضت. وأردفت الآنسة "**آموري**":

– وما قولك إنهم كانوا يحذرونني عندما كنت طفلة من تناول الحلوى خوفًا من أن تكون محتوية على فيتامينات؟ الزمن يتغير، أرأيت كيف يتغير فعلاً؟ وعلى الرغم من محاولته إخفاء ضيقه إلا أن ضيقه وصل إلى أقصى درجاته. أخيرًا، قال بأدب:

– بالتأكيد، بالتأكيد يا آنسة "**آموري**". اقترب من الأريكة حتى يتقرب منها أكثر، قائلاً:

– إن ابنة أخيك تناديك.

– تناديني أنا؟

– نعم، ألا تسمعينها؟ أرهفت السمع، ثم قالت:

– لا... لا، شيء عجيب. وتابعت شغل التريكو، لكن شلة الخيط الصوف سقطت على الأرض وأعادها "**كاريللي**" إليها وتابعت شغل التريكو، فقالت:

– شكرًا جزيلاً يا دكتور "**كاريللي**"، ومع ذلك، حاسة السمع عندي ليست ضعيفة وكثيرًا ما كانوا يقولون لي إن كل آل "**آموري**" يتمتعون بحاسة سمع قوية. ثم نهضت وواصلت:

– كما أن والدي كان قد احتفظ بكل قدراته.. كان في الثمانين من عمره يقرأ دون أن يحتاج إلى نظارة. ومرة أخرى سقطت منها شلة الخيط وانحنى الدكتور "**كاريللي**" لكي يأخذها ويعيدها إليها.

– ألف شكر يا دكتور "**كاريللي**"، إنه رجل متميز – أقصد والدي – حقًا متميز؛ كان ينام دومًا على سرير من الريش له قبة مطرّزة، وكان ينبغي ألا توارب النوافذ لأي سبب من الأسباب بخاصة هواء الليل الذي لم يعد ضارًا. هكذا كان يؤكد دائمًا. للأسف عند إصابته بجلطة اعتنت به سيدة كانت تصرّ على جعل أعلى النافذة مواربًا. وللأسف كان ذلك هو سبب وفاة والدي. ومرة ثالثة أسقطت

بكرة الخيط الصوف، لكن الدكتور في هذه المرة لم يكتفِ بتناول شلة الخيط من على الأرض، إنما وضعها في يدها بإحكام، وعند الباب لم تتقدم إلا ببطء وهي تواصل الكلام. ومن كلماتها ما أشارت إليه:

– إنني لا أحب ممرضات المستشفى بالمرة، إنهن يثرثرن باستمرار على حساب المرضى، ويكثرن من شرب الشاي، ويزرعن دائماً بذور الفتنة بين العائلات. أيد قولها وهو يفتح لها الباب قائلاً:

– إنها حقيقة، حقيقة أكيدة يا آنستي. شكرته. وأسرع بغلق الباب خلفها، ثم اتجه إلى المكتبة ورفع سماعة التليفون. وبعد فترة صمت، بدأ يتحدث بصوت منخفض وبسرعة.

– هنا "**ماركيت كليف**"، واحد، خمسة، ثلاثة. أريد رقماً بـ "**لندن**" من فضلك: "**سوهر**"، ثمانية خمسة وثلاثة... لا، خمسة وثلاثة. هكذا هيه؟ هل تذكرتني جيداً؟

ثم مكث بجوار التليفون وهو يقضم أظافره قلقاً. وبعد دقائق، اخترق الحجرة تجاه مكتب السيد "**كلود**" وفتح الباب ودخل، وبعد ذلك مباشرة، دخل "**إدوارد رينور**" إلى المكتبة آتيا من القاعة، وبعد أن مسح الحجرة بنظره، اتجه بتراخٍ نحو المدفأة، وفي لحظة لمسه الزهرية الموجودة على المدفأة، خرج الدكتور "**كاريللي**" من المكتب. وعندما أعاد غلق الباب التفت "**رينور**" ورآه. فزع السكرتير وقال:

– لم أكن على علم بأنك هنا! وضح "**كاريللي**" قائلاً:

– إني في انتظار مكالمة هاتفية.

– آه! سادت فترة صمت قليلة، قال "**كاريللي**" بعدها مستفسراً:

– متى وصل المفتش؟

– منذ حوالي عشرين دقيقة أعتقد، ألم تره؟

– لمحته من بعيد فقط. قال "**رينور**":

– إنه رجل من "**سكوتلانديارد**". على ما يبدو أنه كان يبحث موضوعاً آخر في الأنحاء؛ لذلك انتهزت الشرطة المحلية الفرصة لاستدعائه. قال "**كاريللي**" معلقاً:

– هذا ما تدعوه فرصة حظ؟

- لن أخبرك بذلك؟ حينئذ سُمعت رنات التليفون، فاتجه "**رينور**" نحوه، لكن "**كاريللي**" أسرع وتقدمه قائلاً:

- لابد أنها المكالمة التي أنا في انتظارها. ثم نظر إلى "**رينور**" وأردف:

- كنت أتساءل ما إذا كنت تتكرم بـ... أكّد له السكرتير استعداده قائلاً:

- بالتأكيد يا عزيزي فوراً. وغادر "**رينور**" الحجرة، فأسرع "**كاريللي**" برفع سماعة التليفون. قال بصوت منخفض:

- مرحبًا، "**ميجل**"؟ نعم؟ لم أتمكن. كان مستحيلاً. لا، إنك لا تفهم، العجوز توفي. سأرحل في الحال... "**جاب**" هنا... "**جاب**" مفتش من "**سكوتلانديارد**".. لا، لم أتقابل معه بعد.. أتعشم كذلك. مساء اليوم في التاسعة والنصف في المكان المعتاد. وبعد أن وضع "**كاريللي**" سماعة التليفون، ارتدى قبعته ووقف - في هذه اللحظة بالتحديد - على عتبة الباب، وهنا تقابل الرجلان. قال له الإيطالي:

- أطلب منك العفو. أجابه "**بوارو**" بسماحة:

- عفواً. قال له ذلك، لكن دون أن يفسح له الطريق لكي يخرج.

- ليتك تدعني أمر... أجابه بوداعة:

- مستحيل، قطعًا مستحيل.

- إني مصرّ على ذلك. تمتم "**بوارو**" وعلى شفتيه ابتسامة وديّة:

- لا ينبغي يا سيدي. خضع "**كاريللي**" خافض الرأس، ثم بخطوة جانبية وبحركة سريعة وغير متوقعة، أفقده المخبر الصغير توازنه، وسقط الإيطالي بين ذراعي "**جاب**" الذي وصل على أعقاب "**بوارو**" تعجب المفتش قائلاً:

- ما هذا، ما الذي يحدث هنا؟ قال "**بوارو**" وعلى شفتيه ابتسامة عابرة وهو يبتعد عن الرجلين:

- آه! يبدو لي يا عزيزي "**جاب**" أنك سوف تكون كفيلاً بأن تعرفه. أكّد الشرطي قائلاً:

- أعرفه منذ زمن بعيد. إنه "**تونيو**"، وهو شخصية معروفة. أليست هي الحقيقية يا "**تونيو**" أراهن على أنك لم تتوقع مثل هذه الحيلة يا "**بوارو**". مسكين

يا "**تونيو**"! وفي الوقت الذي أمسك المفتش بالحقيبة ووضعها على المنضدة وشرع في فتحها، قال "**كاريللي**" بأعلى صوته:

– ليس لديك شيء يدينني. ولا تستطيع احتجازي. قال المفتش:

– سنرى ذلك، أراهن على أننا لن نحتاج إلى البحث بعيداً عن الرجل الذي سرق بحث السيد "**كلود**"، والذي تظاهر بأنه صاحبه. ثم أضاف وهو ملتفت نحو "**بوارو**":

– إن سرقة هذه الوصفة تحمل أسلوب "**تونيو**"، وعندما فوجئنا به في القطار محاولاً الهرب لم يدهشني أن البضاعة معه. أيّده "**بوارو**" قائلاً:

– أنا معك في الرأي. قام "**جاب**" بتحسس "**كاريللي**" في كل مكان في أثناء ماكان "**بوارو**" يفتح الحقيبة، وبعد ذلك سأله الشرطي:

– إذن؟ أجاب المخبر وهو يعيد غلق الحقيبة:

– لا شيء، ألا تراني خائب الظن يا عزيزي؟ حينئذ صاح "**كاريللي**" بأعلى صوته:

– تعتقدون أنكم ذوو دهاء وحيلة، أليس كذلك؟ لكن يمكنني أن أقول لكم... قاطعه "**بوارو**" بهدوء، لكن بشيء من التهديد في صوته:

– قد يمكنك، ربما، لكن لن يكون ذلك في صالحك. انتفض "**كاريللي**" وصاح:

– كيف يكون ذلك؟ قال "**جاب**":

– السيد "**بوارو**" على حق. ثم اتجه نحو باب القاعة، وفتحه ونادى:

– "**جونسون**"! أدخل الشرطي الشاب رأسه من الباب مستفسراً. فأمره "**جاب**" قائلاً:

– اجمع لي جميع أفراد الأسرة أرجوك، أريدهم هنا كلهم. قال "**جونسون**" وهو ينصرف:

– سمعًا يا سيدي. وإذ بدا "**كاريللي**" منهاراً، صاح:

– أعترض. ومع ذلك تناول حقيبته واتجه نحو باب النافذة، لكن "**جاب**" أسرع وأمسك بياقة قميصه وألقى به على الأريكة منتزعًا منه حقيبته، ثم قال له:

– لم يسئ إليك أحد حتى الآن، إذن، لا داعي إلى المقاومة والصياح. في هذه الأثناء اتجه "**بوارو**" نحو النافذة بخطى بطيئة، لكن "**جاب**" ناداه وهو يضع حقيبة

"**كاريللي**" على المنضدة المنخفضة:

– لا تنصرف من فضلك الآن يا "**بوارو**" يا عزيزي، إن ما سيأتي في التحقيق سيكون شائقًا. أكّد له "**بوارو**":

– آه! لا يا "**جاب**" يا صديقي العزيز، إني لا أريد الانصراف من هنا؛ لأن اجتماع الأسرة – كما تقول – سيكون حافلاً بأخبار وخبايا شائقة.

الفصل السابع عشر

عندما بدأت أسرة "**آموري**" تتجمع في المكتبة بعد بضع دقائق، كان "**كاريللي**" على الأريكة ملتاعًا بينما كان "**بوارو**" معسكرًا أمام باب النافذة. "**بربارا**" و"**هاستينجز**" عادا من الحديقة وتوجها إلى الأريكة ليلتقيا بـ"**كاريللي**"، وجلس القائد بجوار "**بوارو**". همس هذا الأخير إلى زميله قائلاً:

– قد تفيدني كثيرًا أن تدوّن في ذاكرتك بالتأكيد المكان الذي سيجلسون كلهم فيه.

– نافع؟ كيف هذا؟ استفسر "**هاستينجز**" فورًا، وكان الرد الوحيد الذي حصل عليه هو:

– نفسيًّا يا صديقي العزيز. عندما دخلت "**لوتشيا**" إلى الحجرة، رآها "**هاستينجز**" وهي تجلس على مقعد بجوار المنضدة، ثم وصل "**ريتشارد**" مع عمته "**كارولين آموري**" التي جلست على مقعد دون أي مسند، بينما حرص "**ريتشارد**" على الجلوس خلف المنضدة لكي يحمي زوجته. وكان آخر شخص يدخل هو "**رينور**" الذي جلس خلف المقعد ذي المسندين وتبعه الضابط "**جونسون**" الذي أعاد غلق الباب وظل واقفًا على مقربة منه. بدأ "**ريتشارد آموري**" بتقديم أفراد الأسرة إلى مفتش المباحث "**جاب**" ولم يكن هذا الأخير قد التقى بهم من قبل:

– عمتي "**كارولين آموري**" وابنة عمي الآنسة "**بربارا آموري**". قدمت هذه الأخيرة التحية بانحناءة للمفتش وسألته:

– لماذا كل هذا التجمع يا سيدي المفتش؟ اتجه هذا الأخير نحو المدفأة، وأردف وقد تغاضى عن سؤالها:

– إننا الآن كلنا هنا، على ما أعتقد؟ كان يبدو على الآنسة "**آموري**" أنها تفكر، محتملة ألف احتمال وأنها تعاني خوفًا معينًا. همست إلى "**ريتشارد**" :

– أنا لا أفهم سبب هذا التجمع... وما... الذي يفعله هنا هذا الشخص؟

– ربما من الضرورة، أن أخبركم بما حدث. هكذا أجابها الشاب. وأضاف وهو ناظر إلى جميع الحاضرين:

– وما أقوله للعمة "**كارولين**" أوجهه إليكم جميعًا. لقد اكتشف الدكتور "**جراهام**" أن والدي السيد "**كلود**" مات مسمومًا.

– ماذا؟! هكذا أبدى "**رينور**" دهشته بينما أطلقت الآنسة "**آموري**" صرخة فزع. واصل "**ريتشارد**" :

– مسمومًا بمادة الـ "سكوبولامين". حينئذ انتفض "**رينور**"، وقال:

– بالـ "سكوبولامين"؟! بالمناسبة، لقد رأيت... ثم توقف ملقيًا نظرة إلى "**لوتشيا**". تقدم "**جاب**" مفتش المباحث نحوه، وقال:

– ماذا رأيت يا سيد "**رينور**"؟ بدا السكرتير محرجًا، وقال:

– لا شيء... أو على الأقل... وما لبث صوته الذي بدا مهزوزًا من التردد أن أصبح تمتمة غير مفهومة ألحّ "**جاب**" قائلاً:

– آسف، لابد من أن أعرف الحقيقة، هيًا تكلم، الآن الجميع يعلم أنك كتمت معلومة. قال السكرتير:

– لا شيء، أؤكد لكم. لا شك في أن هناك تفسيرًا منطقيًا. سأله "**جاب**" :

– عمّ هذا التفسير أو الإيضاح المنطقي الذي تقصده يا سيد "**رينور**"؟ ظل السكرتير مترددًا، وقال "**جاب**" :

– مازلت في الانتظار.

– فقط أن... في بدء الأمر.. توقف "**رينور**"، ثم قرّر أخيرًا إنهاء جملته قائلاً:

– لقد رأيت السيدة "**آموري**" تصب من هذه الأقراص في يدها. سأله "**جاب**" :

– متى تمّ ذلك؟

– مساء أمس، بينما كنت خارجًا من مكتب السيد "**كلود**" والآخرون كلهم منشغلون حول الفونغراف، رأيتها تصب من أنبوبة الـ "سكوبولامين" في راحة يدها، ثم ناداني السيد "**كلود**" في مكتبه للاستفسار مني عن تفصيل محدّد و...

– لماذا لم تذكر شيئًا عن ذلك قبل الآن؟ بدأت "**لوتشيا**" تتكلم، لكن المفتش أسكتها قائلاً:

– لحظة من فضلك يا سيدتي؛ لأني أفضّل سماع السيد "**رينور**" أولاً.

– لم أفكر في ذلك قبل الآن، إنه فقط حاليًا عندما أعلن السيد "**آموري**" أن السيد "**كلود**" مات مسمومًا بمادة الـ "سكوبولامين"، حينئذ عاد ذلك إلى ذهني. وإن كنت أشك بالتأكيد في أنه لا علاقة لما فعلت بما حدث. غاية ما في الأمر أن المصادفة هي التي أدهشتني؛ إذ من الممكن أن تكون الأقراص التي صبّتها في يدها هي الـ "سكوبولامين" وربما تكون أنبوبة من الأنابيب الأخرى التي كانت بين يديها. حينئذ التفت "**جاب**" إلى "**لوتشيا**"، وسألها:

– هيا يا سيدتي، هل عندك اعتراض؟ وما هو؟ عندما أجابت "**لوتشيا**" كانت في حالة ارتياح:

– كنت أسعى إلى البحث عن شيء يساعدني على النوم. توجه "**جاب**" من جديد إلى "**رينور**"، وقال:

– لقد ذكرت أنها صبت كل ما بالأنبوبة، أليس كذلك؟

– هذا ما اعتقدت أني رأيته. التفت رجل المباحث إلى "**لوتشيا**"، وقال:

– لكنك لكي تنامي لم تكوني محتاجة إلا إلى قرص أو قرصين، ماذا فعلت بالباقي؟ فكرت لحظة قبل أن تجيب:

– أنا... آه! وبعد، لا، لا أتذكر، أنا... وكانت على وشك مواصلة كلامها، إلا أن "**كاريللي**" انتصب على قدميه كمن يرغب في تفريغ سمّه وقال:

– ألم تفهم بعد يا سيادة المفتش؟ ها هي الجانية التي تسعى إلى معرفتها.. فأحست "**بربارا**" كأنها طُعنت.. نهضت من على الأريكة وابتعدت عن "**كاريللي**"، فأسرع "**هاستينجز**" إلى جانب الفتاة، وواصل الإيطالي:

– الحقيقة يا سيدي المفتش ستحصل عليها. إذا كنت هنا فهذا لأني موجود –

في هذا المكان خاصة- لمقابلة هذه السيدة. إنها هي التي كانت قد استدعتني. كانت تؤكد لي أن بإمكانها أن تستولي على بحث السيد "**كلود**" وكانت تقترح بيعه لي، ومن جانبي أعترف بأني كثيراً ما قمت فيما مضى بعمليات تهريب من هذا النوع، لكن... قاطعه "**جاب**" قائلاً:

- إنك لا تفيدنا بما هو جديد، كنا على علم بذلك من قبل. قال هذا وهو واقف بينه وبين "**لوتشيا**"، ثم التفت إلى "**لوتشيا آموري**"، وقال:

- ماذا عندك رداً على كل هذا يا سيدتي؟ وقفت "**لوتشيا**" شاحبة وأتى "**ريتشارد**" ووقف بجوارها، وبدأ قائلاً:

- أنا لم أعد... قاطعه "**جاب**" قائلاً:

- من فضلك يا سيدي. استطرد "**كاريللي**":

- انظر إلى هذه المخلوقة. ليس من بيننا من يعرف من هي. أنا فقط أعرف: إنها ابنة "**سلمى جوتز**". إنها ابنة أكبر جاسوسة عرفها العالم. صاحت "**لوتشيا**" بأعلى صوتها:

- ليست حقيقة يا "**ريتشارد**"، ليست حقيقة لا تصدقه... صاح "**ريتشارد**" قاصداً "**كاريللي**":

- سأحطم لك عظامك. اتجه "**جاب**" نحوه وقال:

- الهدوء يا سيد "**ريتشارد**"، الهدوء. أنا أحتاج إلى الوصول إلى أعماق الأمور. وتوجه إلى "**لوتشيا**"، وقال:

- هيا يا سيدة "**آموري**"؟ ساد صمت حاولت "**لوتشيا**" أن تتكلم بعده:

- أنا... أنا هكذا بدأت. تطلعت إلى زوجها، ثم إلى "**بوارو**"، وإذ شعرت باليأس، مدت يدها متوسلة إلى المخبر. نصحها هذا الأخير قائلاً:

- تشجعي وثقي بي، قولي لهم الحقيقة، اعترفي لهم بكل شيء، لقد وصلنا إلى مرحلة لم يعد الكذب مجدياً فيها. طوعاً أو قسراً لابد من اكتشاف الحقيقة، لابد من أنها ستظهر. وعبثاً - كانت لا تكف عن إلقاء نظرات توسليَّة إليه - كان يكرّر: - تشجعي يا سيدتي، بلى، بلى، تكلمي. وبعد أن انتهى من الكلام، عاد ليقف بالقرب من باب النافذة. وبعد فترة صمت طويلة، بدأت "**لوتشيا**" تتكلم

بصوت يكاد لا يُسمع.

– انا حقًا ابنة "**سلمى جوتز**"، لكن ما ليس حقيقة أن أطلب من هذا الرجل أن يأتي إلى هنا أو عـرضت عليـه أن أبيع له بحث "**كلود**". هو الذي اتى لكي يساومني. اقترب منها "**ريتشارد**":

– يساومك؟ التفتت نحوه، وواصلت بثبات وجرأة:

– لقد هددني بالكشف عن اصلي، إن لم أعطه وصفة السيد "**كلود**". لكني لم أفعل ذلك. أعتقد أنه هو الذي سرقها لقد أتيحت له الفرصة، عندما جلس بمفرده في مكتب السيد "**كلود**". وقد تحققت الآن من انه كان يريد أن أشرب الـ"سكوبولامين" لكي يقتلني بحيث يعتقد الجميع أنني أنا التي سرقتها. وكأنه خدّرني، لكني... ثم اخترطت في النحيب ملقية نفسها على كتف زوجها، وهذا الأخير احتضنها وهو يصيح قائلاً:

– "**لوتشيا**" يا عزيزتي. وبعد أن سلّمها إلى الآنسة "**آموري**" التي كانت قد نهضت وضمّت هذه البائسة لكي تواسيها، توجه إلى "**جاب**"، وقال:

– إني أرغب يا سيدي المفتش في التحدث معك على انفراد. القى إليه المفتش نظرة خاطفة، ثم أومأ إلى "**جونسون**" بالموافقة. قائلاً:

– حسنًا جدًّا. وفي الوقت نفسه كان الضابط الشاب يفتح الباب لكي تخرج الآنسة "**آموري**" ومعها "**لوتشيا**". فكان أن "**بربارا**" و"**هاستينجز**" انتهزا الفرصة للعودة إلى الحديقة عن طريق باب النافذة... وهمس "**إدوارد رينور**" إلى "**ريتشارد**" قائلاً:

– انا متالم بشانك يا "**آموري**". صدقني. عندما اخذ "**كاريللي**" حقيبته لكي يتبع "**رينور**" خارج الحجرة أدلى "**جاب**" إلى الضابط الشاب بتعليماته:

– كن رقيبًا على السيدة "**آموري**" وكذلك على الدكتور "**كاريللي**". التفت هذا الأخير في لحظة تخطيه الباب، وواصل "**جاب**" توجيه الكلام إلى تابعه:

– اعمل على أن يخرج الكل دون تردد أو انحراف، مفهوم؟ أجابه "**جونسون**" وهو يغادر الحجرة خلف "**كاريللي**":

– مفهوم يا سيدي. قال "**جاب**" لـ"**ريتشارد**":

– كلي أسف يا سيد "**ريتشارد**"، لكن بعد ما قاله لنا السيد "**رينور**" الآن، أجد نفسي مضطرًا إلى اتخاذ كل الاحتياطات. وأريد أن يحضر معنا السيد "**بوارو**" حتى يكون شاهداً على ما ستصارحني به. حينئذ اقترب "**ريتشارد**" من "**جاب**" كمن وصل إلى قرار نهائي، ثم تنهد بعمق، وبدأ قائلاً:

– يا سيدي المفتش. ساله "**جاب**":

– ماذا في الأمر؟ إني لسامعك. أجابه ببطء وثبات:

– أعتقد أن اللحظة – وهي الآن – قد حانت لكي أتقدم للاعتراف. لقد قتلت والدي. ابتسم "**جاب**"، وقال:

– هذا غير مقبول يا سيدي العزيز. استفسر "**ريتشارد**" دهشًا. واصل "**جاب**":

– لا يا سيدي العزيز، إنك متمسك جدًّا بزوجتك وعلى ما يبدو لي إنها ضلعك أيها الشاب الحديث الزواج. وهي الكل في الكل، لكن إذا كنت تبغي أن أخبرك بما في فكري: فإن وضع حبل المشنقة حول عنق سيدة ليس في الحسبان. وصاح "**ريتشارد**" ثائراً:

– سيدي المفتش "**جاب**"! واصل "**جاب**":

– لا فائدة من اعتراضك. لقد أخبرتك بالحقيقة دون لف أو دوران، وأنا لا أشك في أن السيد "**بوارو**" الموجود هنا سيقول الحديث نفسه إن عاجلاً أو آجلاً. آسف ياسيدي، لكن الواجب هو الواجب والجريمة هي الجريمة. هذا كل ما عندي. قال ذلك وغادر الحجرة. التفت "**ريتشارد**" إلى "**بوارو**" الذي حضر المشهد منذ أن كان على الأريكة، وسأله ببرود:

– هل سنتبادل يا سيد "**بوارو**" الحديث نفسه؟ نهض هذا الأخير وأخرج علبة سجائر من جيبه وأخرج منها سيجارة واحدة، وعوضا عن أن يجيب عن سؤال "**ريتشارد**"، وجه أحد أسئلته الخاصة:

– أخبرني يا سيد "**ريتشارد**"، متى كانت المرة الأولى التي شككت فيها في زوجتك؟

– أنا لم... قاطعه "**بوارو**" وهو يأخذ علبة أعواد ثقاب من على المنضدة قائلاً:

– من فضلك يا سيد "**آموري**"، ارجوك، الحقيقة وليس سواها. لقد شككت

فيها، وأنا أعلم ذلك. لقد شككت فيها قبل وصولي؛ لذلك كنت بأي شكل ترغب في أن أغادر المنزل بأسرع ما يمكن. لا تنكر، من المستحيل أن تراوغ مع "**بوارو**" . ثم أشعل السيجارة وأعاد علبة أعواد الثقاب إلى المنضدة ورفع رأسه لكي يبتسم للرجل. وكان هذا الأخير أطول منه. أجابه "**ريتشارد**" بجفاف:

– إنك تخطئ يا سيدي. إنك تخطئ تمامًا، كنت أشك في "**لوتشيا**"!

– ومع ذلك، بالتأكيد، قد يكون هناك ما يساعد على اتهامك أنت أيضا. لقد أمسكت بالمستحضر وكذلك بقدح القهوة، كما أنك كنت مفتقراً إلى المال، وكنت تعاني ضائقة مالية، وكنت تبحث بشتى الوسائل للحصول عليه. لا، لا يمكننا أن نلوم أحداً يشك فيك. قال "**ريتشارد**":

– لكن يبدو أن سيادة المفتش "**جاب**" ليس من هذا الرأي. ابتسم "**بوارو**" وقال:

– آه! "**جاب**"... إنه يفكر كسائر الناس... وليس كزوجة عاشقة؟! كرر "**ريتشارد**":

– زوجة عاشقة؟! استطرد "**بوارو**":

– دعني يا سيدي أقدم لك درسًا في علم النفس. فور وصولي، أقبلت إليَّ زوجتك تتوسل، طالبة بقائي لاكتشاف الجاني. أمن المنطق أن تتصرف الجانية على هذا النحو؟ بدأ "**ريتشارد**" بحمية:

– تقصد...

– أقصد أنك قبل غروب الشمس ستطلب منها جاثيًا أن تعفو عنك.

– ماذا تقول؟ قال "**بوارو**" وهو ينهض:

– ربما أني أبالغ فيما أقوله. ليتك يا سيدي تلجأ إليَّ أنا "**هركيول بوارو**". سأله "**ريتشارد**" وقد بدا اليأس في صوته:

– هل بإمكانك إنقاذها؟ ألقى إليه "**بوارو**" نظرة جامدة وقال:

– لقد تعهدت... وفي تلك اللحظة، كنت غير مقدرٍ لصعوبة الموقف، وهأنت ترى أن الوقت محدود جداً. عدني بتنفيذ ما أطلبه منك دون اعتراض أو توجيه أي سؤال. اتفقنا؟ نطق "**ريتشارد**" مضطرًا:

– موافق.

– حسنًا، والآن اسمعني. إن ما أقترحه ليس بالأمر الصعب ولا هو مستحيل. سلّم بسرعة منزلك إلى الشرطة. سيقيمون فيه، وسيتدخلون في كل شيء ويتفحصون كل شيء. قد لا يروقك ذلك ولا أسرتك، وسيكون لكم موقف صعب، وأقترح أن تتركوا هذا المكان. سأله "**ريتشارد**" غير مصدق:

– أسلّم المنزل إلى الشرطة؟! كرر "**بوارو**":

– هذا ما أقترحه و... مفهوم؟ بإمكانكم البقاء على مقربة منه، في الفندق المحلي مثلاً وهو مريح جدًا. ليتك تحجز فيه غرفًا وبذلك تكون على مقربة من الشرطة المقيمة في منزلكم عند استدعائها لكم للاستجواب.

– ومتى سيكون ذلك؟ حينئذ بدت ابتسامة عريضة على شفتي "**بوارو**" وقال:

– حالاً. قال "**ريتشارد**":

– ألا يبدو ذلك أمرًا شاذًا؟ أكد له المخبر مبتسمًا:

– لا بتاتًا، بتاتًا، سوف يبدو ذلك إعلانًا لمشاعر حساسة، وسوف تنسبون إلى هذا المكان أفكارًا مقيتة وأنكم غير محتملين البقاء فيه ولا ساعة واحدة بعد الآن. أؤكد لك أن الأمور ستسير على أكمل وأحسن وجه.

– لكن... والمفتش؟

– سأعمل على تسوية الأمور بنفسي مع "**جاب**".

– لكنني حتى الآن لا أرى في ذلك ما قد يفيدنا. قال "**بوارو**":

– لا، بالتأكيد إنك لا ترى ما هو خلف ذلك. ثم هز كتفيه وأضاف:

– لكن لا يهم، إني أنا "**هركيول بوارو**" وأنا وحدي من يراه، وهو المطلوب. ثم أمسك بكتفي "**ريتشارد**" وأردف:

– هيّا. نفذ اللازم. وإن كنت عاجزًا عن القيام به، كلّف "**رينور**" به. هيّا، هيّا. قال ذلك ودفعه إلى الباب. انصرف "**ريتشارد**" بعد أن التفت ملقيًا نظرة أسى إلى المخبر. وعندما وصل "**بوارو**" حتى عتبة باب النافذة نادى:

– آنسة "**بربارا**"!

*****

الفصل الثامن عشر

ردًا على نداء "**بوارو**" أسرعت "**بربارا آموري**" فوراً للقائه، وسألته:

– ما الأمر؟ وجه إليها هذا الأخير ابتسامته العذبة المعروفة، وقال:

– لا شيء يا آنستي، إنما أتساءل ما إذا كنت مستعدة للموافقة على الانفراد بزميلي وصديقي لمدة دقيقة... أو اثنتين وفقًا للحالة؟ جاءت إجابة "**بربارا**" مصحوبة بنظرة ثائرة، وقالت:

– آه! لقد أدركت أنك تريد أن تنتزع مني رفيقي؟ آه! لحظة واحدة. ثم التفتت نحو الحديقة، وصاحت:

– يا صاحبي! جلاّدك يناديك. أجابها "**بوارو**" وهو ينحني بإجلال تحية وشكرا:

– أشكرك. عادت "**بربارا**" إلى الحديقة، وبعد لحظات، دخل "**هاستينجز**" خافضًا رأسه وتوجه إلى المكتبة. بادره "**بوارو**" متظاهراً بأنه غاضب:

– بِمَ ستدافع عن نفسك؟ أبدى "**هاستينجز**" ابتسامة متصنعة. حينئذ بدأ "**بوارو**" يؤنبه قائلاً:

– جميل جدًا أن تتظاهر بالخزي. كيف؟ لقد تركتك هنا للحراسة، وما إن أدرت ظهري حتى لحقت بهذه الشابة الجذابة. إنك عامة رجل يقدّر المسؤولية، لكن ما إن تظهر فتاة جميلة في مجال عملك حتى تنقلب مُثلك العليا رأسًا على عقب، والجانب البريطاني يطفو على السطح و... هيّا نمرح!! حينئذ تحولت علامات الخجل التي كان يبديها "**هاستينجز**" إلى خزي، وقال:

– حقيقة أنا محرج فعلاً وآسف يا "**بوارو**". لقد خاطرت بالذهاب إلى الحديقة وما هي إلا بضع لحظات في الشمس إلا ولمحتك من النافذة عائداً إلى الحجرة، حينئذ لم أجد أن هناك أهمية لحضوري فيها. قال "**بوارو**":

– لا، بل رأيت أنه من الأفضل أن تتجنبني. حسنًا جدًا يا "**هاستينجز**" ياعزيزي، إنك قد تكون السبب في مواقف أو نتائج يصعب علاجها. لقد وجدت "**كاريللي**" هنا، والله وحده يعلم ما كان يفعله، أو ما الذي كان يعتزم القيام به. قام القائد البائس بتكرار اعتذاره قائلاً:

– أكرر لك أسفي يا "**بوارو**"، أنا آسف، آسف جداً.

– لو لم يكن قد تم ما لا يمكن علاجه الآن لنسبنا ذلك إلى الحظ وليس إلى سبب آخر. لكن الآن يا صديقي، لقد حانت اللحظة التي نحتاج فيها إلى كل ما لنا من قريحة. ثم قام "**بوارو**" بحركة توحي بانه سيصفع "**هاستينجز**" وضربه ضربة خفيفة على وجنته. صاح "**هاستينجز**" إذ شعر بارتياح:

– أف! كل ما لنا من قريحة، هل قلت ذلك؟

– حسناً، هيا بنا إلى العمل. أجابه "**بوارو**":

– لا، ليس حسنًا، بالعكس سيئًا ومظلماً. وكانت كل قسمات وجهه تعبِّر عن اضطرابه:

– ظلام دامس. فكّر لحظة، ثم أضاف:

– بالمناسبة... إذا اعتقدت أن لديّ نواة فكرة فلنبدأ من هنا. وإذ فقد "**هاستينجز**" حماسه الجديد، بدأ المناقشة قائلاً:

– عمّ تتحدث؟ تغيّرت نبرة صوت "**بوارو**" لتصبح جادة ومفكرة:

– لماذا مات السيد "**كلود**" يا "**هاستينجز**"..؟ أجبني. لماذا مات السيد "**كلود**"؟ فتح "**هاستينجز**" عينيه الواسعتين، ثم صاح:

– لكن هذا كلنا نعرفه!

– وهل أنت متأكد حقًّا من ذلك؟ أجاب "**هاستينجز**" بتردد نسبي:

– لقد مات، لقد مات لأنه تسمم. قال "**بوارو**" بفروغ صبر:

– هذا أكيد، لكن لماذا دُسَّ له السم؟ لماذا مات مسموماً؟ وبعد لحظة تفكير عميق، أجاب "**هاستينجز**":

– لا شك في أن اللص كان يتخيل... هزّ "**بوارو**" رأسه ببطء بينما كان "**هاستينجز**" يواصل:

– ... لأنه خيّل إلى اللص أن أمره أكتشف... توقف ثانية عندما رأى أن "**بوارو**" يومئ برأسه بلا، وقال "**بوارو**":

– افترض يا "**هاستينجز**" أن اللص لم يتخيل شيئًا! حينئذ اعترف "**هاستينجز**":

– أنا لا أرى جيداً. ابتعد "**بوارو**"، ثم عاد رافعًا ذراعه كمن يريد أن يجذب انتباه صديقه، وأخيراً توقف وتنحنح قائلاً:

– دعني أسرد لك توالي الأحداث بالتفصيل، أو بمعنى آخر كما أعتقد أنه كان من المتوقع أن تكون... وإذ تأثر "**هاستينجز**"، أخذ المقعد القريب من المنضدة وجلس وواصل "**بوارو**" قائلاً:

– لقد مات "**كلود**" ذات مساء في مقعده ذي المسندين. ثم جلس على المقعد المذكور. وفكر لحظة قبل أن يستطرد:

– نعم، لقد مات "**كلود**" ذات مساء في مقعده ذي المسندين. ولم تشر وفاته هذه إلى شيء يثير الشكوك.. ببساطة قد تنسب إلى إصابته بأزمة قلبية فجائية.. لقد مرت عدة أيام قبل فحص أوراقه الخاصة.. وصيته هي الوثيقة الوحيدة التي سنبحث عنها. ومن البديهي أن مذكراته ستكون عن المتفجر الجديد الذي اكتشفه. وربما نكتشف أنها غير كاملة، وربما لن يُعرف أبداً أن النظرية السليمة الكاملة وُجدت. ألا ترى معي يا "**هاستينجز**" ما الذي سيمنحه لنا لصنا؟ أجاب:

– نعم. سأل "**بوارو**":

– ماذا؟ سأل "**هاستينجز**" وهو شارد:

– ماذا؟

– شيء من الأمان هذا ما يمنحه اللص؛ إذ إن بوسعه التخلص من سرقته في أية لحظة عندما يشاء؛ إذ ليس هناك ما يؤثر فيه. وحتى إذا عُرفت وصفة الاختراع فسيكون قد وضع الوقت الكافي للتصرف فيما قد يواجهه... علق "**هاستينجز**" قائلاً:

– بداهة، إنها فكرة، نعم أشعر بها، لكنني غير مقتنع بها بما فيه الكفاية. أردف "**بوارو**":

– كيف؟ إنها فكرة، لكن إلى أين تقودنا هذه الفكرة؟ إن هذه الفكرة تحدثنا عن اغتيال السيد "**كلود**"، إنه لم يكن بالمصادفة إنما كانت لها مقدمات ومدبّرة. أترى أين نحن حاليًّا؟ اعترف "**هاستينجز**" بصراحة:

– لا، وأنت تعلم جيداً؟ إني لا أجيد رؤية هذه الأمور على نحو كافٍ. إن كل مأأراه هو أننا – أنت وأنا – في مكتب منزل السيد "**كلود**" هذا أقصى ما أراه.

– نعم، يا صديقي العزيز وأنت على حق ألف مرة. إننا فعلاً في مكتب السيد

"**كلود**" ، لكننا في الصباح، وقتئذ كان مساء وكانت الأنوار قد أطفئت. واتخذت خطط اللص مسارًا سيئًا. انتصب "**بوارو**" وأشار بإبهامه كمن يعمل على التركيز في حججه. وقال:

– السيد "**كلود**" الذي من عادته ألا يذهب إلى خزانته إلا في اليوم التالي، اضطر في هذا المساء – مصادفة – إلى أن يذهب إليها ويكتشف ضياع اكتشافه. وكقوله، إن هذا المكان مصيدة فئران. لقد وقع اللص في الفخ مثل الفأر. إن لصنا فقط الذي هو في الوقت ذاته الجاني، يعرف تفصيلاً يجهله السيد "**كلود**"؛ إذ كان يعرف أن السيد "**كلود**" سيكون – في اللحظات العادية – قد فارق الحياة، وكان هو أو هي يواجه مشكلة تحتاج إلى حل. فانتهز فرصة هذا الظلام لإخفاء الورقة المسروقة. أغلق عينيك يا "**هاستينجز**" كما أُغلقها أنا نفسي. إن الأضواء قد أُطفئت ولا نرى شيئًا الآن، لكن بإمكاننا أن نسمع. والآن كرّر بالضبط كلمات الآنسة "**آموري**" عندما سردت أحداث هذا المشهد. أغلق "**هاستينجز**" عينيه وبدأ يتكلم ببطء مستخدمًا ذاكرته ومتوقفًا من حين إلى آخر.

– لهاث أو تنهدات لو فضلت هذا التعبير. هكذا بدأ "**هاستينجز**"، بإشارة من رأسه أبدى "**بوارو**" تأييده لهذه الكلمات، وواصل "**هاستينجز**":

– ثم مزيد من اللهاث. ومرة أخرى أبدى "**بوارو**" تأييده، وبعد لحظة تركيز، واصل "**هاستينجز**" كلماته قائلاً:

– صوت سقوط مقعد... ورنين شيء معدني يخيّل إليّ أنه صوت مفتاح. أيّده "**بوارو**" قائلاً:

– بالضبط هيًّا، أكمل.

– صرخة. صوت "**لوتشيا**" عندما كانت تنادي السيد "**كلود**"، ثم قرعات على الباب... آه، انتظر برهة.. في البداية، صوت قماش من حرير يمزّق. وأخيراً، فتح "**هاستينجز**" عينيه، وصاح "**بوارو**" في الحال:

– نعم، حرير يمزّق! ثم نهض واتجه نحو المكتب واخترق الحجرة إلى المدفأة وقال:

– لقد تم كل شيء هنا يا "**هاستينجز**" في لحظات الظلام. ومع كلٍّ فإن آذاننا لا تخبرنا بما فيه الكفاية. توقف أمام المدفأة وعدّل بطريقة آلية ما في الزهرية من أوراق

الإشعال. دمدم "**هاستينجز**" قائلاً:

– آه أرجوك، دعنا وذلك الآن. إنك تهتم بها دائمًا. رفع "**بوارو**" يده وسأله؛ إذ كان شاردًا:

– ماذا تقول؟ آه! نعم، إنها حقيقة. واستطرد وهو يتأمل الزهرية:

– أتذكر أني أصلحت هذه الأعواد الورقية منذ ساعة، والآن ينبغي أن أرتبها. ثم قال:

– لماذا يا "**هاستينجز**"؟ أجاب القائد:

– أعتقد لأنها غير منظمة. إنك دائمًا تنشغل بالنظام أي بأبعاد الأشياء ودقة المنظر. وإذا بـ "**بوارو**" يصيح:

– حرير يُمزق يا "**هاستينجز**"، حرير؟! لا يا "**هاستينجز**". ومع ذلك، فإن الصوت أي صوت تمزق أي نسيج هو... وقف ثانية وتفرّس مرة أخرى في الأوراق الموضوعة وأمسك بالزهرية التي تحتوي عليها، ثم واصل كلامه:

– إنه ورق الذي كان يُمزق. وممسكًا بالزهرية وإذا بـ "**هاستينجز**" هو أيضًا يشعر بما يعانيه من ضيق فنهض على عجل، وسأله:

– ماذا دهاك؟ ما الذي يشغل بالك؟ وقف "**بوارو**" أمام الأريكة وأفرغ ما بالزهرية من أوراق وتفحصها بانتباه، وكان يناول "**هاستينجز**" من حين إلى آخر الواحدة تلو الأخرى وهو يتمتم:

– وها هي واحدة... آه واحدة أخرى. وكان "**هاستينجز**" يفرد الأوراق المطلوبة ويتفحصها بعناية، ثم بدأ يقرأ على ورقة ما.

– C 19 .N 23 هنا صاح "**بوارو**":

– نعم، إنها، إنها الوصفة، وصفة الاختراع بالرموز!

– إن هذا شيء رائع، خيالي. أمره "**بوارو**" قائلاً:

– بسرعة، رتبها من جديد. ولما بدأ "**هاستينجز**" ينفذ عمله صاح "**بوارو**" قائلاً:

– آه! كم أنت بطيء! بسرعة، بسرعة. وانتزع هذه الأوراق من يدي "**هاستينجز**" وأعادها إلى الزهرية وأسرع بوضع الزهرية على المدفأة، وإذ ذُهل

"**هاستينجز**" لحق به، ثم قال له "**بوارو**" :

– إن ما أقوم بعمله الآن يربكك، أليس كذلك؟ أخبرني يا "**هاستينجز**" ما الذي لدينا في هذه الزهرية؟ أجابه القائد ساخرًا:

– بالتأكيد أوراق الإشعال.

– لا يا صديقي، إنه جبن، قطعة جبن جيد جدًّا. سأله "**هاستينجز**" :

– أخبرني يا "**بوارو**" ، هل أنت متأكد من أن حاسة الشم عندك سليمة؟ ولعلّك لا تعاني نوبة إنفلونزا أو على الأقل صداعًا نصفيًّا شديدًا مصادفة؟ لم يدرك "**هاستينجز**" قصد زميله في العمل.

– فيمَ يستخدم الجبن عامة يا "**هاستينجز**" ؟ سأخبرك بذلك. كطُعم في مصيدة الفئران. إننا حاليًّا ننتظر شيئًا واحدًا: الفأر.

– والفأر..

– سيأتي يا عزيزي، أنا واثق بذلك. لقد أرسلت إليه رسالة ولن يتأخر عن الرد عليها. وقبل أن يبدي "**هاستينجز**" ردة فعله لإعلان "**بوارو**" ، فُتح الباب ودخل "**إدوارد رينور**" الحجرة. قال السكرتير:

– آه، أنت هنا يا سيد "**بوارو**" وأنت كذلك يا سيادة القائد "**هاستينجز**" ! سيادة المفتش في الطابق الأعلى ويرغب في التحدث مع كلٍّ منكما.

الفصل التاسع عشر

أجاب "**بوارو**" :

– سنصل فورًا. اتجه ناحية الباب ومن خلفه "**هاستينجز**" ، بينما كان "**رينور**" يخترق المكتبة متجهًا ناحية المدفأة، وإذ كان "**بوارو**" موشكًا على الخروج، عاد على عقبه لكي يتحدث مع "**رينور**" . سأل المخبر الذي عاد إلى منتصف الحجرة:

– بالمناسبة يا سيد "**رينور**" ألا تعلم بالمصادفة ما إذا كان الدكتور "**كاريللي**" قد أتى إلى هنا صباح اليوم؟ أجاب:

– نعم، لقد وجدته فعلاً هنا. فرك "**بوارو**" يديه، وقال له:

– آه! وماذا كان يفعل هنا؟

– أعتقد أنه كان يجري اتصالاً هاتفيًا.

– هل كان يقوم به عندما وصلت؟

– لا، بل كان عائداً من مكتب السيد "**كلود**". سأله ثانية؛ إذ وضع هذه المعلومة في الاعتبار:

– وأنت؟ أين كنت بالتحديد في تلك اللحظة؟ أجاب "**رينور**":

– كنت واقفًا بجوار المدفأة.

– هل تمكنت من سماع جزء من مكالمته التليفونية؟ أجاب السكرتير:

– لا، لقد عمل كثيراً على جعلي أشعر بأنه يرغب في أن يكون بمفرده.

– فهمت. وبعد لحظة تردد، أخرج "**بوارو**" من جيبه مفكرة وقلمًا. وكتب بعض الكلمات على صفحة منها، ثم انتزعها. نادى قائلاً:

– "**هاستينجز**"! اقترب منه هذا الأخير وكان واقفًا بجوار الباب، فأعطاه الورقة مطوية وقال:

– ليتك تتكرم وتعطيها للمفتش "**جاب**". عندما رأى "**رينور**" "**هاستينجز**" يغادر الحجرة لكي يعطي الرسالة إلى المفتش، استفسر:

– هل وجدت ما هو جديد؟ لماذا هذه الرسالة؟ أجابه "**بوارو**" وهو يعيد المفكرة والقلم إلى جيبه:

– لقد أشرت فيها إلى "**جاب**" بأني سألحق به خلال دقائق وقد أوافيه باسم الجاني.

– حقًا؟! لقد عرفته؟! ساد الصمت لحظة. أخذ "**رينور**" يتطلع إلى المخبر بعينين فاحصتين، بينما كان هذا الأخير قد بدأ حديثه ببطء. قال:

– نعم، أعتقد أني عرفته أخيراً. وهذا ما يذكّرني بمهمة أخرى كنت أهتم بها منذ فترة ليست بعيدة. لن أنسى سفّاح السيد "**إدجار**". ثم أردف:

– كدت أُهزم أنا "**هركيول بوارو**" من حيلة مخلوق عديم الإيمان، والمُثُل، ولكنه كان ذا رأي جبار، أترى يا سيد "**رينور**"، كثيراً ما تكون لدى العاملين القدامى الفطنة لارتكاب جرائم ببساطة يصعب الوصول إليها؟ نأمل أن يكون مغتال السيد

"**كلود**" – على العكس – شخصًا مفكرًا ومتميزًا راضيًا عن نفسه واثقًا بنفسه يعجز عن الامتناع عن تغطية الصورة.

– ليتني أدرك ما قصدك بذلك. تقصد أنها ليست السيدة "**آموري**"؟ أجابه:

– لا، ليست السيدة "**آموري**"؛ لذلك حرّرت هذه الرسالة. لقد عانت الكثير هنا هذه المسكينة. وينبغي إعفاؤها من التقدم للاستجواب. مرة أخرى بدا على "**رينور**" أنه يفكر، ثم صاح:

– إذن، أراهن على أنه "**كاريللي**"، أليس كذلك؟

– دعني يا سيد "**رينور**" أحتفظ بأسراري الصغيرة حتى اللحظة الأخيرة. ثم أخرج منديله وجفّف جبينه وهو يقول:

– يا إلهي! يا له من يومٍ حار! ثم سأله "**رينور**":

– أتريد أن تشرب شيئًا وإن كان المفروض أن أسألك ذلك قبل الآن؟ استنار وجه "**بوارو**" وبابتسامة عريضة قال:

– إذا شئت أريد كأس شراب.

– لحظة واحدة.

خرج من الحجرة في الوقت الذي كان "**بوارو**" يذهب فيه عند باب النافذة وينظر لحظة إلى الحديقة، ثم عاد البلجيكي القصير واتجه نحو الأريكة وهزّ الوسائد قبل أن يفحص تماثيل الزينة الصغيرة الموضوعة على المدفأة. وبعد لحظات، عاد "**رينور**" حاملاً كأسين من الشراب وإذا به يرى "**بوارو**" وهو يرفع شيئًا من على المدفأة وقال:

– إنها قطعة أثرية على ما أعتقد. أجابه "**رينور**" غير مبدٍ أي اهتمام قائلاً:

– آه، أنا لا أعرف شيئًا عن هذه الأشياء، تعال اشرب كأسك. قال "**بوارو**":

– شكرًا. تناول "**رينور**" كأسًا، وأردف وهو يشرب:

– في صحتك. وبانحناءة رأس خفيفة رفع "**بوارو**" الكأس الأخرى إلى شفتيه، وتابع:

– في صحتك يا صديقي، والآن دعني أفصح لك عن شكوكي. أولاً لقد لمحت أن...

توقف فجأة وأدار رأسه ناحية الباب، ثم – قاصداً "**رينور**" – وضع إصبعه على

شفتيه إشارة بأن أحدهم يصغي بجوار الباب.

هزّ "**رينور**" رأسه علامة أنه فهم. اقترب الرجلان من الباب على أطراف أقدامهما وأشار "**بوارو**" إلى "**رينور**" أن يبقى في الداخل، أما هو فقد فتح مصراع الباب على آخره، وانطلق إلى الخارج، لكن لكي يعود في الحال متخاذلاً، وأردف:

– شيء عجيب يا "**رينور**". مع ذلك كنت واثقًا بسماع شيء ما، هأنا أخطأت وإن كنت غير معتاد مثل تلك الحالة. في صحتك يا صاحبي. وقبل أن يشرب "**رينور**" صاح بدوره قائلاً:

– أف! سأله "**بوارو**":

– ما الأمر؟ أجاب "**رينور**":

– لا شيء، غاية ما في الأمر أنني شعرت بالارتياح. اقترب "**بوارو**" من المنضدة ووضع كأسه عليها. وصارح "**رينور**" قائلاً له:

– أتعلم يا سيد "**رينور**"، حتى أكون صادقًا معك، بصراحة أنا لم أعتد من قبل تناول نوع الشراب الذي تقدمونه عندكم. أنا لا أستسيغه قط، إنه مرٌّ. ثم ذهب ليجلس على المقعد ذي المسندين. دُهش "**رينور**" وقال:

– حقًّا؟ طعمه ليس مرًّا. وضع كأسه على المائدة المنخفضة وواصل:

– أعتقد أنك كنت موشكًا على موافاتي بأمر ما منذ قليل؟ بدا "**بوارو**" كمن يفيق من حلم.

– أنا؟ ترى ماذا؟ هل نسيت؟ من الممكن أن أكون راغبًا في إحاطتك علمًا بالطريقة التي أتبعها في أي تحقيق أقوم به، كيف أتصرف؟ نعم، هكذا.. ما إن يتكشف لي أمر ما حتى يقودني إلى آخر وهكذا أتقدم في مسيرتي، هل هذا التفصيل الصغير يدل على غيره؟ نعم، أتحمس للمتابعة بوضوح وثبات وأفحص وأقارن بين ما هو مطابق للموقف وعكسه، وأسعى، أما التفصيل البسيط العجيب، فأضعه... هنا. وصاحب "**بوارو**" كلماته بحركة غريبة من يده.

– وهذا التفصيل يصبح ذا معنى، وهذا التفصيل الضئيل الساخر يصير ضخمًا! قال "**رينور**" بصوت عالٍ:

– آه... نعم. ثم حرّك "**بوارو**" إبهامه أمام وجه السكرتير بشدة، حتى أن هذا

الأخير تراجع تقريبًا.

– مقابل ذلك حذار! ويل للمخبر الذي يفضح أمرًا. حقًّا، إن هذا التفصيل ضئيل لا يهم إذا كان لا يقود إلى شيء. حتى للأخطاء أهميتها. توقف "**بوارو**" فجأة وضرب جبهته بيده وقال:

– آه! لقد تذكرت الآن ما كنت أريد أن أقوله عن أحد التفاصيل، كنت أريد أن أحدثك عن الغبار يا سيد "**رينور**". فابتسم "**رينور**" بأدب قائلاً:

– عن غبار؟ كرر "**بوارو**":

– بالضبط، عن غبار. لقد لفت نظر صديقي "**هاستينجز**" إلى أني مخبر وليس عاملة نظافة، معتقداً أنه وجّه ملحوظة قيّمة، ومع ذلك أنا لا أبادله هذا الرأي؛ لأن عاملة النظافة والمخبر يتّحدان في العديد من النقاط. فيم تبدي سيدة النظافة دقتها في العمل؟ في اكتشاف كل ما هو منافٍ للنظافة مهما كان خفيًّا وإزالته بمكنستها. أليس عمل المخبر قريبًا من ذلك؟

– تعليق طريف يا سيد "**بوارو**". هذا ما تمكن "**رينور**" من قوله على الرغم من ضيقه الظاهر. ثم قرَّب مقعده من المنضدة وجلس وقال:

– هذا كل ما كنت تريد أن تخبرني به؟ صارحه "**بوارو**":

– ليس كله. ثم انحنى إلى الأمام وأردف:

– إنك يا سيد "**رينور**" لم تذر لي رماداً في عيني؛ ولهذا السبب لم يكن هناك غبار. أتدرك ذلك؟ تفرّس فيه السكرتير لفترة ليست قليلة، ثم قال:

– ليس جيداً، لا. لا أفهم بما فيه الكفاية.

– لم يكن على صندوق المستحضرات الكيميائية غبار. لقد لفتت الآنسة "**بربارا**" نظري إلى ذلك، علمًا بأنه لا يبدو أنه كان عليه غبار. الرف الأعلى الذي كان عليه الصندوق... وأراه الغبار بإصبعه وهو يتحدث:

– هذا الرف تعلوه طبقة من الغبار. ومن هنا علمت...

– علمت ماذا؟ واصل "**بوارو**":

– أن هناك من أنزل الصندوق حديثًا، وأن مغتال السيد "**كلود**" لم يحتج إلى هذا الصندوق مساء أمس مادام قد استخدمه من قبل في لحظة كان واثقًا فيها بأنه

ليس هناك من يراه. إنك لم تقترب من الصندوق مساء أمس؛ لأنك كنت قد أخذت قبل ذلك الـ "سكوبولامين" الذي يلزمك. مقابل ذلك لقد وجدت القهوة بين يديك يا سيدي"**رينور**" . حينئذ أبدى "**رينور**" ابتسامة فاترة، وقال بدهشة:

– يا إلهي! تتهمني باغتيال السيد "**كلود**" بالسم؟

– اتنكر قيامك بذلك؟ تمهل "**رينور**" قبل أن يجيب وعندما تكلم تكلم بنبرة جافة:

– أوه! لا أنا لا أنكر. ولماذا أقوم بذلك؟ في حين أني كنت مسروراً من الطريقة التي اتبعتها في عملي. وكانت خطتي قد تقدمت لولا أن سوء الحظ وحده هو الذي جعل السيد "**كلود**" يعيد فتح خزانته مساء أمس وهو ما لم يعمله قط قبل ذلك.

– ولماذا تسرد لي كل ذلك؟

– ولماذا لا أقوم به؟ لأني أجدك لطيفًا معي ويسرني التحدث معك. ضحك وواصل:

– نعم، لقد اتخذت الأمور مساراً سيئًا، ومن ذلك يكون لي افتخار تحويل الفشل إلى نجاح. قال ذلك وعلامات الانتصار بادية على وجهه. ثم أردف:

– أن تجد لك مبرراً أو شيئًا خفيًّا ليس عمل أول وافد، أتريد أن أخبرك بمكان الورقة المسلوبة؟ والآن وفي هذه اللحظة؟ ازدادت حالة النعاس التي تفاجئ "**بوارو**" الذي وجد صعوبة في الكلام، وتمتم:

– أنا... أنا لا أفهمك يا "**رينور**" . وبابتسامة ساخرة استطردَ هذا الأخير:

– لقد أخطأت يا سيد "**بوارو**" عندما قلّلت من قدري، وأنا لم أنسق حاليًّا لإشارتك إليَّ بهذا الـ "**كاريللي**" المسكين. إن من في مثل ذكائك لا يتخيل أن "**كاريللي**" ... ما علينا، أما أنا فلا أقوم بالأعمال الضخمة. أينما كانت هذه الورقة فهي تساوي – بالمناسبة – خمسين ألف جنيه. استند إلى ظهر مقعده، وواصل:

– تخيل ما يفعله رجل مثلي بمثل هذا المبلغ. تمكن "**بوارو**" من النطق أخيراً وقال:

– أفضل ألا أفكر في ذلك.

– ربما، على أي حال، لكل واحد وجهة نظر. انحني "**بوارو**" إلى الأمام لكي يتمالك نفسه. ثم قال:

– لن يفلت مني هذا الأمر. سأتهمك أنا "**هركيول بوارو**" وسأكشف ما فعلته. ثم توقف فجأة، وهنا قال "**رينور**" بينما كان "**بوارو**" يتعمق في مقعده:

– "**هركيول بوارو**" لن يعمل شيئًا. وقهقه وهو يقول:

– ألم تشك في شيء حتى عندما وجدت الشراب مرًّا؟ أنا يا سيدي لم آخذ أنبوبة "**سكوبولامين**" واحدة إنما عدة أنابيب. لقد ابتلعت بقدر ما ابتلع السيد "**كلود**".

– يا إلهي! وعبثًا قاوم "**بوارو**" لكي ينهض، ونادى قائلاً:

– "**هاستينجز**"! "**هاسـ**... ثم انهار وأغلق جفنيه. نهض "**رينور**" ووقف بجواره وقال له:

– حاول أن تظل يقظًا يا سيد "**بوارو**"؛ لأني واثق بأنك ترغب في معرفة المكان الذي أُخفي فيه الورقة، أليس كذلك؟ انتظر لحظة. لكن عيني المخبر ظلتا مغلقتين. قال "**رينور**" وهو متجه نحو المدفأة:

– نعاس سريع، يليه نوم بلا أحلام لن تستيقظ منه كما قال "**كاريللي**" يا صديقنا العزيز. تناول الورق الموجود بالزهرية وطواه ووضعه في جيبه، ثم توجه إلى باب النافذة، ولم يتوقف إلا لكي يقول له:

– إلى اللقاء يا سيد "**بوارو**". وفي لحظة نزوله إلى الحديقة، أوقفه صوت "**بوارو**":

– ألا تريد الظرف أيضًا؟

اهتز "**رينور**"، وفي اللحظة نفسها وصل المفتش "**جاب**" وتراجع السكرتير عدة خطوات ثم شرع في الهرب، واتجه إلى الباب. نهض "**بوارو**" من مقعده وتمطى، ثم سأل المفتش:

– هل سمعت أيها العزيز "**جاب**" كل شيء؟ أجاب مفتش المباحث وهو يقود "**رينور**" بالقوة بمساعدة "**جونسون**" قائلاً:

– حتى آخر كلمة وذلك بفضل الرسالة التي كنت قد أرسلتها إليَّ يا "**بوارو**". من السهل سماع كل شيء على بُعد خطوتين من الباب النافذة. والآن هلمّ نرى مايحمله السكرتير. أخرج الأوراق من جيب "**رينور**"، وكذلك أنبوبة صغيرة،

وألقى بهما على المنضدة المنخفضة.

- وها هي أنبوبة الـ "سكوبولامين" فارغة. وصاح "**بوارو**" لتحية صديقه الذي أتى من باب القاعة حاملاً كأس شراب وناوله للمخبر قائلاً:

- هأنا لم أتبع خطتك، إنما أنت مقابل ذلك اتبعت خطتي خافضًا رأسك، ورسالتي كانت تعطي تعليمات لـ "**جاب**" ولـ "**هاستينجز**"، ثم بسطت لك الصنارة عندما أبديت عدم احتمالي حرارة الجو. كنت واثقًا بأنك ستحضر لي كأس شراب؛ لأنك كنت متحينًا فرصة، وبعد ذلك، سارت الأمور دون عقبات. عندما وصلت إلى الباب كان "**هاستينجز**" في الانتظار خارجًا ومعه كأس شراب. استبدلت الكأس وعدت. ثم أعاد الكأس إلى "**هاستينجز**" وأردف:

- من جانبي أنا لست غاضبًا لأني نفذت خطتي. سادت لحظة صمت تبادل فيها "**بوارو**" و"**رينور**" نظرات تحدٍّ، ثم تكلم السكرتير قائلاً:

- لقد خشيتك منذ أن وطأت قدماك هذا المنزل. كان بإمكاني قبل ذلك استكمال خطتي، كما كنت سأستطيع التأمين على باقي عمري بالخمسين ألف جنيه ثمن بيعي للنظرية المسروقة، لكن بعد وصولك، لم أشعر بالارتياح، ولم أكن واثقًا بأن أُخفي قتل هذا العجوز المجنون وسرقة ورقته الثمينة. عاد "**بوارو**" إلى مقعده حيث جلس وقد بدا راضيًا عن نفسه:

- كثيرًا ما أشرت إليك بأني أراك ذكيًّا جدًّا. وبعد قليل، أعلن "**جاب**" بسرعة:

- "**إدوارد رينور**"، إنني أتهمك بتهمة قتل السيد "**كلود**" وقد أعلنت أن كل ماستقوله من الآن فصاعدًا سوف يحسب عليك. ثم أشار إلى الضابط "**جونسون**" باصطحابه.

الفصل العشرون

عندما خرج "**رينور**" تحت حراسة "**جونسون**"، تقابل الرجلان مع الآنسة "**آموري**" إذ كانت تقصد المكتبة في الوقت نفسه. التفتت إليهما وقد فوجئت. أسرعت إلى "**بوارو**". قالت وهي تلهث بينما كان هذا الأخير ينهض لتحيتها:

– أيمكنني يا سيد "**بوارو**" تصديق عينيّ؟ "**رينور**" هو قاتل أخي؟

– نعم يا آنستي. أحست باختناق وهي تقول:

– آه! لا أستطيع تصديق ذلك. يا للوحشية! معنا نحن الذين كنا نعامله كأحد أفراد الأسرة! ثم التفتت فجأة. وبينما هي تتأهب للانصراف دخل "**ريتشارد**" تاركًا الباب مفتوحًا وقفت خارج الحجرة في لحظة وصول "**بربارا**" من الحديقة. صاحت هي أيضًا:

– شيء مربك! "**إدوارد رينور**"؟! من يصدق ذلك؟ إني لأتساءل من يكون هذا المخلوق! ثم التفتت إلى "**بوارو**" الذي انحنى تجاه الضابط:

– إنه المفتش "**جاب**" الذي أقر ذلك يا آنستي، وهو الذي اكتشف الجاني.

– ليس لك مثيل يا سيد "**بوارو**". إنك حقًا شخصية نادرة، وإضافة إلى ذلك إنك "جنتلمان".

وبانحناءة من رأسه قام بتحية المجلس وغادر المكتبة بخطى واسعة، وفي طريقه تناول كأس الشراب من "**هاستينجز**" الذي قال:

– عندي الدليل المادي، إذا شئت يا سيدي القائد. سألته "**بربارا**":

– هل حقًا أن "**جاب**" هو الذي اكتشف الجاني الذي اغتال عمي "**كلود**"؟ واقتربت من "**بوارو**" قائلة:

– ألست أنت يا سيد "**هركيول بوارو**"؟ لحق هذا الأخير بـ "**هاستينجز**" وحوّط عنقه بذراعه.

– الحقيقة يا "**بربارا**" الحق كله يرجع إلى "**هاستينجز**" الحاضر معنا الآن؛ إذ كانت نواة لفكرة أدلى لي بها وهي التي أنارت لي الطريق. ليتك تصطحبينه إلى الحديقة لكي يحكي لك بالتفصيل. قال ذلك وهو يدفع بـ "**هاستينجز**" إلى "**بربارا**" ويوجههما نحو باب النافذة. وحدث بعد ذلك أنه عندما أوشك "**ريتشارد آموري**" على مبادرة "**بوارو**" فُتح باب القاعة لكي تدخل منه "**لوتشيا**"، وإذ فوجئت بزوجها تمتمت:

– "**ريتشارد**"... التفت إليها وهو يقول بدوره:

– "**لوتشيا**"! فتقدمت بضع خطوات.

– أنا... هكذا بدأت قبل أن تتوقف. تقدم "**ريتشارد**" نحوها ثم توقف، وقال:

– أنت... وكان كلاهما يبدوان في حالة عصبية واضحة. وفجأة لمحت "**بوارو**"، فاسرعت نحوه باسطة ذراعيها.

– سيد "**بوارو**"! كيف نشكرك؟ أمسك المخبر بيديها قائلاً:

– نعم يا سيدتي، لقد انتهت همومك! قالت بأسى:

– لقد قبض على الجاني. مع ذلك كل همومي انتهت؟ قال:

– يبدو لي حقًّا أنك لم تشعري بالارتياح بعد. تمتمت بصوت مرتجف:

– وهل سأشعر بذلك ذات يوم؟ أجابها وفي عينيه شعاع أمل:

– أعتقد أنني يمكنني أن أجيبك بـ "نعم". ثقي بالعجوز "**بوارو**". قاد "**لوتشيا**" إلى المقعد الموجود وسط الحجرة، وتناول الأوراق التي على المنضدة المنخفضة وعاد إلى "**ريتشارد**" وناوله إياها. قال لـ "**ريتشارد**":

– سيدي، يسعدني أن أعيد لك ورقة اختراع السيد "**كلود**". عندما توضع الأجزاء بجوار بعضها ستصبح وكأنها جديدة. صاح "**ريتشارد**":

– يا إلهي! ورقة البحث! لقد كنت قد غفلت عنها، بل وليست لي رغبة في النظر إليها. لقد تسببت في إنهاء حياة والدي وكادت تهدم حياتنا أيضًا. سألته "**لوتشيا**":

– ماذا ستفعل بها يا "**ريتشارد**"؟

– لا أدري. ما رأيك أنت في ذلك؟ ونهضت واقتربت منه. همست إليه:

– أتريد حقًّا؟ أجاب زوجها وهو يمد لها يده بالأوراق.

– إنها لك، افعلي ما تريدين. تمتمت "**لوتشيا**":

– شكرًا يا "**ريتشارد**". ثم اتجهت نحو المدفأة وأخذت عود ثقاب من العلبة وأشعلته وقربته من الأوراق الواحدة تلو الأخرى وألقت بها في النار، ثم تمتمت:

– في الدنيا مزيد من المتاعب ولا أريد أن أضيف إليها أكثر. قال "**بوارو**" معلقًا:

– كم أنا معجب يا سيدتي بالطريقة التي تحرقين بها آلاف الجنيهات وكأنك تحرقين أبسط العملات! تنهدت وهي تقول:

– لم يتبق منها سوى الرماد مثل حياتي. انتفض "**بوارو**" متأثرًا:

– آه، آه، آه! هيا أحضروا صناديق الدفن واستدعوا الندّابات، لكن ليس لي. شكرًا. لا، أنا أحب أن أكون سعيدًا، وأغني وأرقص وأستمتع بالحياة والناس، وأن أتلذذ بكل لحظة من حياتي. أترون يا أولادي – هكذا واصل وهو يلتفت إلى "**ريتشارد**" أيضًا – وسأصارح كلاً منكما بشيء ما. ليتك يا سيدتي لا تفكرين كثيرًا في: "لقد خدعت زوجي كثيرًا" . وأنت يا سيدي لا تردد: "كثيرًا ماشككت في زوجتي" . ومع ذلك يشتاق كل منكما إلى أن يرتمي في حضن الآخر. أليس كذلك؟ تقدمت "**لوتشيا**" خطوة نحو زوجها. بدأت تقول بصوت منخفض:

– "**ريتشارد**" . . قاطعها "**بوارو**" قائلاً:

– أخشى يا سيدتي أن يكون السيد "**كلود**" قد شك فيك، أي في الرغبة في سرقة ورقة اختراعه؛ فمنذ أسابيع مضت كان أحدهم – ولا شك في أنه من أعوان "**كاريللي**" – قد بعث رسالة (دون إمضاء) إلى السيد "**كلود**" يذكر فيها والدتك، لكن هل تعلمين يا بنتي أن زوجك حاول تحويل الاتهام إلى نفسه حتى ينقذك؟ وهنا صدرت صرخة تأثر صغيرة من "**لوتشيا**" التي نظرت إلى "**ريتشارد**" بحب، وواصل "**بوارو**" :

– وأنت يا سيدي، تصور أن زوجتك تفضل أن تنسب الجريمة إلى نفسها خشية أن تكون أنت الجاني؟ اقترب "**ريتشارد**" من زوجته وهو يتمتم بحنان:

– "**لوتشيا**" . حينئذ ابتعد "**بوارو**" عنهما على أطراف أصابعه، وابتسم وهو يقول:

– يخيّل إليَّ أن كلاًّ منكما سيلقي بنفسه بين ذراعي الآخر في حضرتي. لحقت به "**لوتشيا**" وأمسكت بيده وقالت:

– لن أنساك أبدًا. . أبدًا يا سيدي. وأجابها وهو يقبّل أصابعها:

– ولا أنا يا سيدتي. وقال له "**ريتشارد**" بدوره:

– أما أنا يا "**بوارو**" فإني عاجز عن التعبير. ماذا أقول أكثر من أنك أنقذت حياتي وحياتي الزوجية، وليس من الكلام ما يستطيع التعبير عما أشعر به. أجابه:

– لا تبالِ يا صديقي. إني سعيد لأني جمعت شملكما. ثم صاح "**بوارو**" قائلاً:

– ليباركما الله يا أولادي، وإذا صادفتكما الآنسة "**بربارا**" في الحديقة

فليتكما تطلبان منها أن تبعث بالسيد "**هاستينجز**"؛ إذ لابد لنا من العودة بعد قليل إلى "**لندن**". وعندما همّ بالانصراف اتجه نظره إلى المدفأة. وقال:

– آه، إنه لشيء مزعج أن تشاهد أن وعاء أوراق الإشعال ليس في مكانه! وكعادته المحبّة للنظام أعاده إلى وضعه المعتاد، وقال:

– إن النظام عاد إلى كل شيء. قال هذا واتجه راضياً مسروراً نحو الباب.

تمت بعون الله